التيار الربوبي وموقفه من التدبير الإلهي
دراسة نقدية

بحثٌ مُقدَّمٌ إلى

المُؤتمَرِ الدَّوليّ الأوَّل لكليَّةِ أصُول الدِّين والدَّعوةِ بالمنصورة

بعنوان

التَّدابير الشَّرعيَّة والعَمَليَّة في مُواجهة مَوجةِ الغلاءِ العالميَّة

الأحد ٣ مارس ٢٠٢٤ م

إعداد

الأستاذ الدكتور/ أحمد شوقي إبراهيم علي عبد الله

أستاذ العقيدة والفلسفة المساعد

كلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة، جامعة الأزهر

ملخص البحث باللغة العربية

التيار الربوبي وموقفه من التدبير الإلهي دراسة نقدية

أحمد شوقي إبراهيم علي عبدالله

قسم العقيدة والفلسفة، كلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة، جامعة الأزهر، مصر.

البريد الإلكتروني: ahmadshawkey@azhar.edu.eg

الملخص:

في ظل طغيان الفكر المادي المعاصر وجد من الملحدين من **يؤمن** بوجود خالق لهذا الكون، مع إنكاره لتدبيره الكوني والتشريعي.

ومعنى إنكارهم للتدبير الكوني قولهم: إن الإله خلق الكون ووضع قوانينه الثابتة، ثم تركه يعمل بآليته الخاصة، بلا تدبير له فيه، **ولا تدخّل في توزيع الأرزاق**، ... وكل الحوادث في الكون هي أسباب طبيعية.

أما إنكارهم للتدبير التشريعي فمعناه: أنهم ينكرون الوحي، وبعثة الرسل، ويرون: أن البشر لا يمكن أن يعرفوا الله إلا عن طريق العقل ومراقبة الطبيعة.

هذا التيار الذي فرق في تصوره للإله بين الخالقية والتدبير، يطلق عليه التيار الربوبي، أو التيار الواحدي، أو الدين الطبيعي، أو التأليه الطبيعي، أو دين العقل أو أصحاب الفطرة العقلية...

وقد اعتنى البحث بدراسة أحد مقومات التيار الربوبي؛ وهو موقفهم من التدبير الإلهي، ممهدا لذلك بالتعريف بالتيار الربوبي، ونشأته، والأسس الفكرية له، كما تحدث البحث عن التدبير الإلهي في الفكر الإسلامي، والتدبير الإلهي عند التيار الربوبي بين التأثر بالمسيحية وفلاسفة اليونان في عصر النهضة الأوربية، وتناول البحث بالنقد والرد تصور التيار الربوبي للتدبير الإلهي من جانبيه الكوني والتشريعي.

وقد انتهج الباحث في هذا البحث المنهج التكاملي، الذي يجمع في أركانه بين عددٍ من المناهج الجزئية، التي يُعالج كلّ واحدٍ منها ما يناسبُه من أجزاء البحث، وأهمها: المنهج الاستقرائي، والاستنباطي، ثم التحليلي، ثم النقدي مع الالتزام بضوابط البحث العلمي وأسسه قدر الإمكان على أسس المنهج العلمي السليم.

الكلمات المفتاحية: التيار الربوبي، التدبير الإلهي، الدراسة النقدية.

ملخص البحث باللغة الإنجليزية

The deistic movement and its position on divine management, a critical study

Ahmad shawkey ebraheem ali.
Department of Faith and Philosophy, Faculty of Fundamentals of Religion, Al-Azhar University, Egypt.
Email: ahmadshawkey@azhar.edu.eg.

Abstract:

In light of the tyranny of contemporary materialistic thought, there are atheists who believe in the existence of a Creator of this universe, while denying His cosmic and legislative management.

The meaning of their denial of cosmic management is their saying: God created the universe and established its fixed laws, then left it to operate according to its own mechanism, without any control over it, or interference in the distribution of livelihood... and all events in the universe are natural causes.

As for their denial of the legislative measure, it means: they deny revelation and the sending of messengers, and they believe that humans cannot know God except through reason and observation of nature.

This trend, which differentiates in its conception of God between creativity and management, is called the deistic trend, or the

monotheistic trend, or natural religion, or natural deification, or the religion of reason, or those of rational innate nature...

The research focused on studying one of the components of the deistic movement; It is their position on divine management, paving the way for this by introducing the deistic movement, its origin, and its intellectual foundations. The research also spoke about divine management in Islamic thought, and the divine management according to the deistic movement between the influence of Christianity and Greek philosophers in the European Renaissance, and the research dealt with criticism and response to the perception of the deistic movement. Divine management has both its cosmic and legislative aspects.

In this research, the researcher has adopted the integrative approach, which combines in its pillars a number of partial approaches, each of which addresses the appropriate parts of the research, the most important of which are: the inductive, deductive, then analytical, then critical approaches, while adhering to the controls and foundations of scientific research as much as possible. On the foundations of sound scientific method.

Keywords: Deism, divine management, critical study.

بسم الله الرحمن الرحيم

رب يسر وأعن

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله وصفيه وحبيبه، صلوات الله وسلامه عليه صلاة وسلاما دائمين متلازمين حتى نلقاه عند الحوض وهو راض عنا. وبعد،

فقد أرسل الله ﷻ الرسل بعقيدة التوحيد؛ **باعتقاد عدم الشريك في** الألوهية **وخواصها**، أو بعبارة أخرى: إفراد المعبود الحق بالعبادة مع اعتقاد وحدانيته تعالى في الذات والصفات والأفعال، أَيُّ باعتقاد أنه لا يوجد ذات مثل ذات الله ﷻ، ولا يوجد لغيره صفات مثل صفاته، **وأنه المتفرد** بخلق الأشياء وإيجادها.

وقد عرف علماء العقيدة الألوهية بأنها: الاتصاف بالصفات التي لأجلها استحق المتصف بها أن يكون معبودا، وهي صفاته التي توحد بها سبحانه، فلا شريك له في شيء منها، وتسمى خواص الألوهية.

وقد اهتموا أيضا بالحديث عن خواص الألوهية التي هي: خلق العالم، وتدبيره، واستحقاق العبادة، والتفرد بحق التشريع، والغنى المطلق عن غيره.

والخالق لكل شيء يستتبع تدبير شؤون خلقه، فالله سبحانه هو المتفرد بخلق الأشياء، ولا شَريكَ له في تَدْبيرِ المَصْنوعاتِ، فلا حول ولا قوة في الكون إلا إليه... وهذا هو سر القيومية.

وعلى هذا **فلا انفكاك بين الخلق والتدبير** فهما من خواص الإله المألوه المعبود، المنفرد بالتدبير الكوني والتشريعي، الغني عن العالمين، الذي يفتقر إليه الكون، والذي يجب له كل صفات الكمال التي تليق بذاته، وينبني عليها استحقاق العبادة.

وفي ظل طغيان الفكر المادي المعاصر وجد من الملحدين من **يؤمن** بوجود خالق لهذا الكون، مع إنكارهم لتدبيره الكوني والتشريعي.

ومعنى إنكارهم للتدبير الكوني قولهم: إن الإله خلق الكون ووضع قوانينه الثابتة، ثم تركه يعمل بآليته الخاصة، بلا تدبير له فيه، **ولا تدخّل في توزيع الأرزاق**، وكل الحوادث في الكون هي أسباب طبيعية.

أما إنكارهم للتدبير التشريعي فمعناه: أنهم ينكرون الوحي، وبعثة الرسل، ويرون: أن البشر لا يمكن أن يعرفوا الله إلا عن طريق العقل ومراقبة الطبيعة.

هذا المذهب الذي فرق في تصوره للإله بين الخالقية والتدبير، يطلق عليه التيار الربوبي، أو التيار الواحدي، أو الدين الطبيعي، أو التأليه الطبيعي، أو دين العقل أو أصحاب الفطرة العقلية...

فالخالق عندهم لم يكلف الخلق بإيمان ولا بتدين، ولا يتدخل في الكون بالمعجزات والخوارق، ولا أرسل رسلاً، ولا أوحى بشرائع، ولا أنزل كتابًا، والتعرف على هذا الخالق إنما يتم عن طريق التأمل في الكون والاستدلال العقلي عليه دون الحاجة إلى دين أو إخبار الأنبياء والرسل، فهي إنكار للوحي، والنبوات، والأديان، واعتماد على العقل المجرد في تأسيس العلاقة بالخالق!

فأصحاب هذا التيار اللاديني سلموا للإله بالخلق، ورفضوا طاعته وعبادته، وذلك للتحلل من كل الالتزامات الدينية التي يمارسها المؤمنون من الصلاة والذكر والدعاء...، والتي يشعر ممارسوها الصادقون بالراحة والطمأنينة عند ممارستها، بدعوى أنها مجرد طقوس لا تنفع الله شيئا، مع أنه لا انفكاك بين الربوبية والألوهية، فهما متلازمان، لا ينفصلان.

لهذا فقد اعتنى البحث بدراسة أحد مقومات التيار الربوبي؛ وهو موقفهم من التدبير الإلهي، عبر دراسة نقدية.

هذا، وقد اقتضت طبيعة البحث أن تكون خطة دراسته على النحو التالي:

المقدمة: (أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وخطة الدراسة)

الفصل الأول: التعريف بالتيار الربوبي ونشأته وأسسه الفكرية.

المبحث الأول: التعريف بالتيار الربوبي لغة واصطلاحا.

المبحث الثاني: نشأة التيار الربوبي.

المبحث الثالث: الأسس الفكرية للتيار الربوبي.

الفصل الثاني: التدبير الإلهي بين المثبتين والمنكرين.

المبحث الأول: التدبير الإلهي في الفكر الإسلامي.

المبحث الثاني: التدبير الإلهي عند التيار الربوبي بين التأثر بالمسيحية وفلاسفة اليونان في عصر النهضة الأوربية.

الفصل الثالث: نقد تصور التيار الربوبي للتدبير الإلهي.

المبحث الأول: إنكار التيار الربوبي للتدبير الكوني والرد عليهم.

المبحث الثاني: إنكار التيار الربوبي للتدبير التشريعي والرد عليهم.

الخاتمة: وتتضمن أهم النتائج التي توصل إليها البحث.

وقد انتهج الباحث في هذا البحث المنهج التكاملي، الذي يجمع في أركانه بين عددٍ من المناهج الجزئية، التي يُعالج كلّ واحدٍ منها ما يناسبُه من أجزاء البحث، وأهمها: المنهج الاستقرائي، والاستنباطي، ثم التحليلي، ثم النقدي مع الالتزام بضوابط البحث العلمي وأسسه قدر الإمكان على أسس المنهج العلمي السليم.

هذا... وأسأل الله – تعالى– أن ينزل هذا البحث منزلا مباركًا، وأن يتقبله مني خالصًا فما كان فيه من صواب فمن الله، وما كان من خطأ أو سهو أو نسيان فمني ومن الشيطان، والله ورسوله – ﷺ – منه براء، وأسأل الله تعالى أن يعفو عني، ويكتب لهذا البحث القبول في الأرض والسماء.

الفصل الأول: التعريف بالتيار الربوبي ونشأته وأسسه الفكرية.

المبحث الأول: التعريف بالتيار الربوبي لغة واصطلاحا.

أولاً: التعريف بالتيار في اللغة والاصطلاح:

- **التيار في اللغة:** حركةٌ سطحيّةٌ في ماء المحيط تتأثَّر باتجاهات الرياح، وتنقل المياه الدافئة إِلى المناطق الباردة وبالعكس(١).

- **التيار في الاصطلاح:** مجموعة من الآراء والنظريات الفلسفية الفكرية الوافدة، ارتبط بعضها ببعض ارتباطا منطقيا، حتى صارت ذات وحدة عضوية منسقة ومتماسكة(٢).

وقد عرف التيار الفكري بأنه: عبارة عن حركة فكرية تنتهجها مجموعة من الأشخاص أو الجماعات التيتتبنى فكريا معينًا لفكرة أو اتجاهًا واحدًا(٣).

ثانيًا: التعريف بالربوبية Deism في اللغة والاصطلاح:

الربوبية في اللغة:

الربوبية في معاجم اللغة العربية: مصدر من ربّ يربّ ربايـة وربوبيـة، قـال الراغـب الأصـفهاني: "الربوبية مصدر يقال في الله ﷻ، والرباية تقال في غيره"(٤)، والربوبي هو منسوب إلى الرب، أو الذي له نسبة إلى الربّ(٥).

---

(١) انظر: لسان العرب، ابن منظور، دار صادر بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ، ٤/ ٩٧.

(٢) انظر: المعجم الوسيط، مجموعة من المؤلفين، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ط دار الدعوة، ١/ ٣١٧.

(٣) انظر: مفهوم التيارات الفكرية وعلاقته بالمصطلحات ذات الصلة، جميلة الشمري، شبكة الألوكة، ص١٤.

(٤) انظر: المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، دار القلم، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ، ص١٨٤.

(٥) لسان العرب، ابن منظور، ١/ ٣٩٩، و: القاموس المحيط، الفيروز آبادي، دار الحديث بالقاهرة، ط١، ٢٠٠٨م، ١/ ٧٠.

أما كلمة "ربّ" فقد ذكر علماء اللغة عدة معانٍ لها منها: المالك والسيد والمصلح[١].

أما المعنى الذي يُمكن أن يشمل كل هذه المعاني، ويُعد الأصل اللغوي، لمادة "ربّ"، فهو "إنشاء الشيء حالًا فحالًا إلى حد التمام"[٢]، بمعنى إيصاله إلى كماله المنشود، ورفع النقائص عنه، سواء كان ذلك الكمال من أي جهة كانت، وكان ذلك الشيء كل موجود قابل للكمال، كالإنسان والحيوان والنبات وغيرها، وهذه الحقيقة هي ما يعبر عنها بمعانٍ مختلفة: كالإصلاح والإنعام والتدبير والسياسة والإتمام... وغيرها[٣].

فالرب مصدر مستعار للفاعل، **ولا يقال الرب مطلقا إلا لله تعالى** المتكفل بمصلحة الموجودات نحو قوله: ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾[٤]، وعلى هذا قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا﴾[٥]، أي آلهة وتزعمون أنهم الباري مسبب الأسباب، والمتولي

---

(١) انظر: المصباح المنير، الفيومي، المكتبة العلمية، بيروت، بدون، ص٢١٤، و: الصحاح، الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٩٨٧م، ١/ ١٣٠، و: لسان العرب، ابن منظور، ١/ ٣٩٩ -٤٠١.

(٢) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ص١٨٤، و: انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م، ١/ ١٦٦.

(٣) انظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، ١٩٧٩م، ٢/ ٣٨١.

(٤) سورة سبأ، من الآية ١٥.

(٥) سورة آل عمران، من الآية: ٨٠.

لمصالح العباد، **وبالإضافة يقال له ولغيره** نحو قوله: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[١] و ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾[٢].

وكل من ملك شيئا فهو ربه، يقال رب الدار ورب الفرس لصاحبهما، وعلى ذلك قول الله تعالى: ﴿اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ﴾[٤]، وقوله: ﴿قَالَ مَعَاذَ اللهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾[٥]، قيل عنى به الله تعالى: وقيل عنى به الملك الذي رباه والأول أليق بقوله[٦].

أما عن علاقة الربوبية بالتدبير: فإن "الرب هو المالك الذي يدبر أمر مملوكه...، ومن المعلوم أن الملك الحقيقي لا ينفك عن التدبير؛ فإن الشيء إذا افتقر في وجوده إلى شيء فلم يستقل عنه في وجوده، لم يستقل عنه في آثار وجوده، فهو تعالى رب لما سواه لأن الرب هو المالك المدبِّر وهو تعالى كذلك"[٧].

وعليه فللربوبية ركنان أساسيان هما: المالكيّة، والتدبير، فمن هذه الجهة يصير معنى "الربّ" هو المالك المدبِّر.

---

(١) سورة الفاتحة، من الآية: ٢.

(٢) سورة الشعراء، من الآية: ٢٦.

(٣) سورة يوسف، من الآية: ٤٢.

(٤) سورة يوسف، من الآية: ٥٠.

(٥) سورة يوسف، من الآية: ٢٣.

(٦) انظر: المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ص١٨٤.

(٧) الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين، ١/ ٢١.

وفي **القرآن الكريم** تطلق كلمة **الربّاني أو الربّي** على العالم العامل المعلم المتمسك بدين الله وطاعته، واتباع أنبياءه والاقتداء بهديهم.

قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللهِ وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾[١]، وقال: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾[٢].

قال ابن عاشور في تفسير ﴿كُونُوا رَبَّانِيِّينَ﴾: " كونوا منسوبين للرب، وهو الله تعالى، لأن النسب إلى الشيء إنما يكون لمزيد اختصاص المنسوب بالمنسوب إليه، ومعنى ذلك أن يكونوا مخلصين لله دون غيره"[٣]، فيكون الداعي له إلى جميع الأفعال طلب مرضاة الله والصارف له عن كل الأفعال الهرب عن عقاب الله[٤].

أما التيار الربوبي فقد تبنى أتباعه نسبته للربوبية: لأن من وجهة نظرهم أنهم يؤمنون بالربّ، ولكنهم يرون أن هذا الرب خلق الكون ثم تركه، لذلك ينكرون تدبيره في الكون، وينكرون تدخله فيه بالوحي وإرسال الرسل "بالتدبير التشريعي"! ! .

فالخالق في نظرهم كالساعاتي الذي أدار عقارب الساعة ثم تركها لتعمل وحدها دون أن يتدخل بها.

الربوبية في الاصطلاح (Deism):

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٧٩.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٤٦.

(٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور ١٤٠/٣.

(٤) انظر: تفسير الرازي، الإمام الرازي ٢٧٤/٤.

يعود أصل كلمة الربوبية Deism إلى الكلمة اللاتينية Deus، وتعني: الرب، وترادفها في اليونانية كلمة Theos، والتي اشتقت منها كلمة Theism، وعليه فإن الكلمتين: deism، Theism مترادفتان في الأصل. وبينما ظلت كلمة Theism محتفظة بمعناها الأرثوذوكسي، أخذت كلمة Deism تنحرف في مسارها الدلالي مبتعدة عن أختها حتى أصبحت تدل على الاتجاه الديني غير التقليدي، ثم صارت محملة بمعنى ازدرائي كالكفر والإلحاد والشذوذ[١].

وقد تعددت التعريفات التي اهتمت بتوضيح المفهوم الاصطلاحي للربوبية، ويمكن عرض أهم هذه التعريفات إجمالًا فيما يلي:

عرفت في الموسوعة الفلسفية المختصرة بأنها: الاعتقاد بأن هناك إلها وكائنا أسمى، خيرا حكيما، قد خلق العالم لكنه لم يعد يتدخل فيه... ولا سبيل إلى معرفته إلا بمناهج الأدلة العقلية، وخاصة تلك الأدلة التي تؤدى إلى علة عظمى أولى وإلى مصمم للكون عاقل كريم"[٢].

وعرفها الأستاذ في جامعة تكساس روبرت س. سولمون بأنها: " الاعتقاد بضرورة وجود إله خلق العالم بكل قوانينه؛ ولهذا يقبل المذهب الربوبي بصورة من الصور الدليل الكوني على وجود الله تعالى.

---

(١) راجع: النزعة الربوبية، ترجمة محمد سيد سلامة، مقالات مركز نماء للبحوث والدراسات، منشور بتاريخ ٢٠١٧/٥/١٧م، https: //nama-center.com/articles/details/٤٠٨٢٨، و: تاريخ الفكر الأوروبي الحديث ١٦٠١- ١٩٧٧م، و: رونالد سترومبرج، ترجمة أحمد الشيباني، القاهرة، دار القارئ العربي، ط٣، ١٩٩٤م، ص١٧٦.

(٢) انظر: الموسوعة الفلسفية المختصرة، جوناثان رى – وج.أو. أرمسون، ترجمة: فؤاد كامل وأخرون، المركز القومي للترجمة بالقاهرة، ط١، ٢٠١٣م، ص٣١٧.

ولكن سولمون يؤكد مع ذلك عدم وجود تبرير عقلي للاعتقاد بأن الله تعالى يولي اهتمامًا خاصا بالإنسان والعدالة الإنسانية، ويرفض أي صفات تشبيهية نضيفها على الذات الإلهية، وكذلك يرفض الاعتقاد بالقصص التوراتية حول الإله"[١].

وقد ورد تعريف المذهب الربوبي في دليل أكسفورد للفلسفة بأنه الاعتقاد الفلسفي في إله يثبت بالعقل والشواهد خصوصا البرهان الغائي دون قبول المعلومات الخاصة التي تفترض أنه أوحي بها في الإنجيل أو القرآن مثلا، ومن ثم فإن الربوبية تشتمل علي الاعتقاد في خالق أسس العالم وعملياته، لكنه لا يستجيب لعبادة البشر أو حاجاتهم[٢].

وتحدث عنها صاحب الموسوعة المختصرة في فلسفة الدين أنتني ثيسلتون قائلا: "في القرنين السابع والثامن عشر، طرح المذهب الربوبي تصورا يغاير التصور الألوهي للإله، فبينما يؤمن الألوهيون بإله متصرف في الكون، فإن المذهب الربوبي يقرر مفهوما عقلانيا للإله كمصدر للخلق متعال عنه وكائن وراءه – إلي أن قال – اعتبر الربوبيون الكون شيئا آليا تركه الله ليعمل ولكن من غير أن تمسه حاجة للتدخل فيه"[٣]، وهو باختصار ما اشتهر أدبيا بمصطلح "الإله الغائب"[٤].

---

(١) الدين من منظور فلسفي: دراسة نصوص، روبرت س. سولمون، ترجمة حسون السراي، العارف للمطبوعات، ط١، بيروت، ٢٠٠٩م، ص١٨٥، ١٨٦.

(٢) انظر: دليل أكسفورد للفلسفة، تحرير تد هوندرتش، ترجمة نجيب الحصادي، المكتب الوطني للبحث والتطوير– ليبيا، ٤٠٤/٢.

(٣) انظر: الموسوعة المختصرة في فلسفة الدين، أنتني ثيسلتون نقلا عن: ثلاث رسائل في الإلحاد والعلم والإيمان، د.عبد الله بن سعيد الشهري، مركز نماء للبحوث والدراسات، ط٢٠١٤م، ص١٦٧.

(٤) راجع النزعة الربوبية، ترجمة محمد سيد سلامة، مقالات مركز نماء للبحوث والدراسات، منشور بتاريخ ١٧/ ٥/ ٢٠١٧م، https: //nama-center.com/articles/details/٤٠٨٢٨.

وأشير إلى الربوبية أيضًا بأنها: " تعبير مستعمل خصوصـًا في القرن الثامن عشر ويدور على الايمان بوجود الله، وخلود الروح، وانتفاء الوحي"(١).

وعلى هذا فالربوبية: اتجاه فكري يؤمن صاحبه بوجود خالق لهذا الكون، لكنه ينكر صلة هذا الخالق بهذا الكون عبر الوحي والرسالة.

فالخالق خلق الكون ثم تركه، فلم يكلف الخلق بإيمان ولا بتدين، ولا هو بالذي يسمع دعوات الداعين ويستجيب لهم، ولا يتدخل في شؤون هذا الكون بالمعجزات والخوارق، ولا أرسل رسلاً ولا أوحى بشرائع، والخالق في نظرهم كالساعة الزنبركية التي أدير مفتاحها، ثم تُركت لتعمل وحدها من دون توجيه ولا تدبير.

والتعرف على هذا الخالق إنما يتم عن طريق التأمل في الكون، والاستدلال العقلي عليه دون الحاجة إلى دين أو إخبار الأنبياء والرسل عن طريق الوحي(٢).

ورفض الربوبية للوحي وإرسال الرسل جاء نتيجة لرفضهم فكرة كون الإله كاشفا عن نفسه للإنسان من خلال الكتب المقدسة(٣).

وعليه: فالربوبية تختلف اختلافًا جوهريا عن أصل الدين، في رفض الوحي وإرسال الرسل والمعجزات، وذلك بسبب رفضهم لفكرة تدخل الإله في شؤون الإنسان، وأصبحوا يعتقدون بالدين الطبيعي، لا الدين المعتمد على الوحي.

---

(١) المعجم الفلسفي، معجم المصطلحات الفلسفية، مراد وهبة، دار قباء بالقاهرة، ١٩٩٨م، ص ٣٣، وانظر: مدخل إلى فلسفة الدين، محمد عثمان الخشت، دار قباء بالقاهرة، ٢٠٠١م، ص٢٠.

(٢) انظر: ميليشيا الإلحاد مدخل لفهم الإلحاد الجديد، عبدالله صالح العجيري، مركز تكوين للدراسات والأبحاث، ط٢، ٢٠١٤م، ص٢٠.

(٣) انظر: الدين من منظور فلسفي: دراسة نصوص، روبرت س. سولمون، ص١٨٦.

وقد أُطلِقَ على هذا التيار عدة أسماء؛ منها: التيار الربوبي، أو التيار الواحدي، أو مذهب التأليه الطبيعي، أو الدين الطبيعي، أو المذهب التأليهي، كما أن جان جاك روسو لقبه بدين الفطرة، بينما لقبه بعض الباحثين بالدين العقلي.

ومن خلال هذه التعريفات يمكن تصنيف هذا التيار ضمن أصناف المذاهب الإلحادية، التي يمكن التفريق بين أتباعها، بما يلي:

١- الملحد: هو المنكر لوجود الله تعالى، سواء لاعتقاده الجازم باستحالة وجود الخالق، أو أن وجوده أمر ضعيف الاحتمال جدا.

٢- اللا أدري: هو المتوقّف في إثبات أو نفي الإله؛ لأن أدلة إثبات الإله ونفيه تتكافأ عنده، وبالتالي لا يمكن حصول القطع واليقين في هذه القضية، وإن العقل البشري والجهد البشري التجريبي لا يمكنه الإجابة على هذا السؤال الغيبي.

٣- الربوبي: هو الذي يؤمن بالإله الخالق للعالم، وينكر تدبيره للعالم وإرسال الأنبياء والمعجزات وغيرها.

٤- اللاديني: هو المنكر لجميع الأديان، وهو قد يكون ملحدًا أو لا أدريا أو ربوبيا[(١)].

وعليه: فالتيار الربوبي **يختلف** عن باقي المذاهب الإلحادية في أنه يؤمن بوجود خالق لهذا الكون، **ويتفق** معها في رفض الوحي والنبوات، وفي كون الأديان مجرد تفسيرات صادرة عن البشر بدلا من اعتبارها مصادر موثوقة.

---

(١) انظر: الإلحاد للمبتدئين: دليلك المختصر في الحوار بين الإيمان والإلحاد، هشام عزمي، دار الكاتب للنشر مصر، ط١، ٢٠١٤م، ص١٨، ١٩، و: وهم الإلحاد، د.عمرو شريف، هدية مجلة الأزهر لشهر المحرم ١٤٣٥هـ، ص٢٧، و: لصوص الآخرة –تفنيد آراء الملحدين في الكون والحياة، هيثم طلعت، مركز تبصير لتقريب التراث والرد على الشبهات، مصر، ٢٠١٩م، ص١٣.

المبحث الثاني: نشأة التيار الربوبي.

ظهرت التيار الربوبي في القرن السابع عشر الميلادي في عصر التنوير من الحضارة الغربية، وكان معظم الربوبيين يدينون بالمسيحية، وقد جرت بينهم وبين القساوسة مناظرات طاحنة حول الكتاب المقدس وتحريفاته، وكانت لهم اعتراضات وإشكالات وتشكيكات في أصالة الدين ومصدره وجدواه.

وقد مر التيار الربوبي بثلاث مراحل أساسية:

المرحلة الأولى:

مرحلة النشأة؛ وكانت في **إنجلترا** على يد فلاسفة الأخلاق البريطانيين الذين حاولوا إقامة الأخلاق بطرق مختلفة على أسس عقلية وتجريبية منفصلة عن الدين، فقاموا هنا بابتداع ما يسمى "بالدين الطبيعي" الذي يرتكز على العقل والتجربة، وكان من أهم رواد هذه الحقبة الإنجليزية: اللورد إدوارد هربرت (ت: ١٦٤٨م)، والفيلسوف تشارلز بلاونت (ت: ١٦٩٣م)، والفيلسوف جون لوك (ت: ١٧٠٤م)، وإيرل شافتسبري الثالث (ت: ١٧١٣م)، والفيلسوف جون تولاند (ت: ١٧٢٢م)، ووليم ولياستون (ت: ١٧٢٤م)، والفيلسوف أنتوني كولنز (ت: ١٧٢٩م)، وتوماس وولستون (ت: ١٧٣٣م)، والفيلسوف ماثيو تندال (ت: ١٧٣٣م) ... وغيرهم[١].

وفي بدايات هذه المرحلة كانت الربوبية لا تنكر الأديان صراحة، بل تبحث فيما يوافق العقل منها...

---

(١) راجع: المسيحية عبر العصور: تاريخ الكنيسة المسيحية، إيريل كيرنز، ترجمة عاطف سامي برنابا، ص٤٤١، و: مدارس النقد والتشكيك والرد عليها، حلمي القمص يعقوب، ص١٢٢، و: الإلحاد في الغرب، رمسيس عوض، دار سينا للنشر، القاهرة، ط١، ١٩٩٧م، ص١٤٥، وما بعدها.

فمما يذكره المؤرخون أن البروفسور الإنجليزي ريتشارد هوكر (ت: ١٦٠٠م) دعا إلى بناء نظام كنسي لا يُستمد فقط من الوحي، ولكن من الطبيعة أيضا؛ فالطبيعة ملك لله وقوانينها من صنعه، فهي كلمة الله المشاهدة.

وقد التمس هوكر حكم العقل أيضًا وعظم من شأنه في أمر قبول الاعتقاد الديني، وكان يذكر أن ثقة الإنسان في اعتقاده لا تضمن له صحته في نفس الأمر، لكن عقلانية الأسباب التي بني عليها الاعتقاد هي التي تضمن له ذلك، وهي وحدها التي تؤكد لنا أن هذه المعتقدات من الله وليست من روح خبيثة(١).

ثم إن اللورد إدوارد هربرت، الذي لقب بأبي الربوبيين أو الطبيعيين، حدد في كتاباته المبادئ الرئيسة للربوبية وهي- بحسب هربرت- تشكل نواة كل الأديان بما في ذلك المسيحية -قبل أن يسلم الناس أنفسهم لأطماع وخبث الكهنوت- والتي يمكن من خلال بيان هذه المفاهيم المشتركة للأديان تحديد الحقيقة الدينية.. وهي كما تصورها هربرت تتمثل في أن هناك ربا أعلى.. وأن هذا الرب يجب أن يعبد.. وأن العبادة تتشكل من مجموع العفة مع التقوى.. وأنه يجب على البشر أن يتوبوا من خطاياهم ويقعلوا عنها.. وأن الجزاء والعقاب في الدنيا والآخرة قائم على عدل الله وخيريته(٢).

---

(١) راجع: النزعة الربوبية، محمد السيد سلامة، مقال إلكتروني منشور بتاريخ ٢٠١٧/٥/١٧م بوقع مركز نماء للبحوث والدراسات، https: //www.nama-center.com/articles/details/٤٠٨٢٨.

(٢) انظر: تاريخ الفلسفة الحديثة، وليم كلي رايت، ترجمة: محمود سيد أحمد، دار التنوير، بيروت، ط١، ٢٠١٠م، ص٢٢٤.

وقد نظر هربرت إلى هذه المبادئ على أنها تعبر عن كامل العقيدة المسيحية الكاثولويكية الحقيقية في أصلها الأول قبل أن تحرف، وهي تشكل عنده دين العقل.. وما هو مخالف لهذه المقولات الخمس يعتبر مخالفا للعقل، وبالتالي باطل.

ثم إن هربرت كرس أعماله بعد ذلك لإبراز دور العقل، وزحزحة الدور الكنسي المهيمن على العلاقة بين الرب والعبد؛ والذي عزز بعد ذلك للعقل أن يتعاظم، ويرى أنه كفؤ في معرفة الرب وقوانينه في الكون، وأنه هو خليفة الرب في الأرض، ولا حاجة له بالوحي والأديان.

وفي نفس السياق **تشارلز بلاونت** الذي كان يرى أن كل ما هو ضد الطبيعة فهو ضد العقل، وكل ما هو ضد العقل فهو سخيف ويجب أن يرفض[١].

وكذلك **جون لوك** حيث يقول: **"**لم تبق حاجة أو نفع للوحي، طالما أن الإله أعطانا وسائل طبيعية أكثر يقينًا لتتوصل بها إلى المعرفة**"**[٢].

وكذلك **جون تولاند** الذي كان يرى أن العقل وحده هو مصدر المعرفة، وأنه الأساس الوحيد لكل يقين[٣]**، وقال: "**إن تصديق لاهوت الكتاب المقدَّس أو قبول معنى أي فقرة فيه بدون برهان عقلي وتماسك واضح هو سرعة تسليم تستحق اللوم... نحن نتمسك بأن العقل هو الأساس

---

(١) انظر: مدارس النقد والتشكيك والرد عليها، حلمي القمص يعقوب، مكتبة الكتب القبطية الأرثوذكسية ص١٢٢.

(٢) انظر: تكوين العقل الحديث، جون هرمان راندال، ترجمة جورج طعمه، دار الثقافة بيروت، ط. ٢، ١٩٥٦ م، ص ٤٤٠.

(٣) انظر: تاريخ الفلسفة الحديثة، وليم كلي رايت ص٢٢٨، و: مغامرات الفكر الأوروبي: قصة الأفكار الغربية، جاكلين روس ترجمة: أمل ديبو ط١، هيئة أبوظبي للثقافة والتراث ٢٠١١م، ص٢٣٤.

الوحيد لكل يقيننا"[١]، وقد اتهم تولاند بإنكار التثليث وألوهية المسيح في كتابه "مسيحية بدون أسرار"[٢]، كما يعتبر أبرز من عبر عن الأفكار الربوبية في عصره؛ فرفض التدبير الإلهي، والوحي، والمعاد[٣].

إلى أن نصل إلى **ماثيو تندال** في كتابه "المسيحية قديمة قدم الخلق" الصادر عام ١٧٣٠م الذي كان يرى أنه **لا حاجة** للدين المسيحي، فالطبيعية فيها ما يكفي بعيدا عن الوحي، وأن الكتاب المقدس ليس أكثر من بيان للدين الطبيعي، بل وإعادة لنشر القانون الطبيعي[٤].

---

(١) انظر: مدارس النقد والتشكيك والرد عليها، حلمي القمص يعقوب، ص١٢٢.

(٢) انظر: الإلحاد في الغرب، رمسيس عوض، ص١٤٥، ١٤٦، و: تاريخ الفلسفة الحديثة، وليم كلي رايت ص٢٢٠.

(٣) انظر: الإلحاد في الغرب، رمسيس عوض، ص١٥١، و: تاريخ الفلسفة اليونانية، يوسف كرم، ص١٥٥.

(٤) انظر: الموسوعة الكاثوليكية القديمة، روبرت أبليتون، نيويورك ١٩٠٨م، م٤، و: انظر: الإلحاد في الغرب، رمسيس عوض، ص١٤٣، ١٤٤.

ومما هو جدير بالذكر أن جمعية لندن للمراسلات كانت تتبنى الاتجاه الربوبي، وقد تنشرت الكتب التي تناصر هذا الاتجاه في مواجهة الديانة المسيحية فنشرت كتاب عصر العقل لتوماس باين الذي يطلقون عليه الكتاب المقدس الجديد، كذلك نشروا كتب أخرى تنكر الدين على نحو أشد وطأة مثل: كتاب نظام الطبيعة لميرابود، وكتاب حطام الامبراطوريات لفولني، كما نشرت هجوم فولتير على الدين المسيحي، ونشرت كذلك بعض الكتب المعادية للمسيحية مثل كتاب: جمال المذهب التأليهي، والمعجم الأخلاقي وجوليان ضد المسيحية، فضلا عن الكتاب الإلحادي الذي ألفه بون سبنس، الأفكار الطبيعية في مواجهة الأفكار الخارقة للطبيعة، وكتابات وليم جودوين الراديكالية... وغيرها. انظر: الإلحاد في الغرب، رمسيس عوض، ص١٦١، ١٦٢.

المرحلة الثانية:

كانت **في فرنسا،** وسبب انتشاره فيها حيث كان بعض الفلاسفة يسكنون إنجلترا وتأثروا بالتيار الربوبي، ثم جاءوا إلى فرنسا، وكان من أشد المدافعين عن المنهج الربوبية في فرنسا القاضي والأديب **مونتيسكيو** (ت: ١٧٥٥م) صاحب كتاب روح القانون، وصاحب نظرية فصل السلطات الذي تعتمده العديد من الدساتير في العالم.

وكذلك الفيلسوف الفرنسي الشهير **فولتير** (ت: ١٧٧٨م)، وهو يعد من أبرز دعاة الربوبية ومن أقوي المتحمسين لها حتي نعت بأنه الربوبي النموذجي[١]، وقد استخدم الربوبية كسلاح ضد الكاثوليكية في صورتها الفلسفية[٢].

ويعتبر فولتير الممثل الرئيس للاتجاه الربوبي في باريس، وهو وإن لم يعاصر الثورة الفرنسية إلا أن كتاباته الأدبية المؤثرة دفعت سكان باريس في عهد الثورة إلى تمجيد العقل إلى درجة دفعتهم إلى عبادة "إلهة العقل" المجسمة في شكل امرأة حسناء من نساء باريس[٣].

وقد أخذ دينه العقلي عن الفلاسفة الإنجليز حيث أقام في انجلترا من عام ١٧٢٦م إلى عام ١٧٢٩م هربًا من السجن في فرنسا، وأعجبه المذهب الربوبي عند تولاند وآمن بالاستغناء عن الوحي وبأن المادة أزلية، وأن قوة الإله محدودة، وذلك لكي يفسر وجود الشر في العالم[٤]، ذلك أن زلزال

---

(١) انظر: ظاهرة نقد الدين في الفكر الغربي الحديث، د.سلطان العميري، مركز تكوين للدراسات والأبحاث، ط٢، ٢٠١٨م، ٢٣٠/١.

(٢) انظر: الموسوعة الفلسفية المختصرة، جوناثان رى – وج.أو. أرمسون ص٣١٧.

(٣) انظر: قصة الفلسفة، ول ديورانت، ترجمة فتح الله محمد المشعشع، منشورات مكتبة المعارف، بيروت، ط٦، بدون، ص٣١٧.

(٤) انظر: تاريخ الفلسفة الحديثة، وليم كلي رايت ص٢٢٥.

لشبونة سنة ١٧٥٥م قد أثر عليه فأنكر العناية الإلهية، أو انتقص منها فقال إنها لا تهتم بالجزئيات وإنما بالكليات فقط[١]

وقد وصفه د.عبد الرحمن بدوي في موسوعته الفلسفية قائلاً: " لقد كان فولتير ذا نزعة دينية، ولكنها غير مرتبطة بأي دين، وقد أخذ عن المؤلهة" الربوبيين" Deists الإنجليز أن ما هو صحيح في المسيحية موجود في كل الأديان، وآمنت به الإنسانية قبل مجيء المسيحية بعدة آلاف من السنين، إن المبادئ الأخلاقية في المسيحية هي في جوهرها وأساسها نفس المبادئ الأخلاقية الموجودة في سائر الأديان"[٢].

أما ما عدا هذا فإن فولتير يرفضه: إذ يرفض العقائد المسيحية الرئيسية: التثليث، ألوهية المسيح، التجسد، وكلها مندرج تحت معنى واحد؛ ويرفض المعجزات المنسوبة إلى المسيح، وبالأحرى إلى القديسين.

وقد اشتدت حملته على المسيحية خصوصاً في السنوات الخمس عشرة الأخيرة من حياته، بعد أن شعر أن كل فكرة في الإصلاح وفي تحرير الإنسان، وفي التسامح بين الناس قد لقيت معارضة شديدة من جانب رجال الكنيسة...

---

(١) انظر: تاريخ الفلسفة الحديثة، يوسف كرم ص١٩٠، و: الإلحاد في الغرب، رمسيس عوض، ص١٨١.

(٢) موسوعة الفلسفة، د.عبد الرحمن بدوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٤م، ٢/ ٢٠٦، وانظر: من تاريخ الإلحاد في الإسلام، عبدالرحمن بدوي المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٠م، ص١٨٣.

لقد كان فولتير يؤمن بوجود إله للكون، لكن إلهه لا يشبه إله اليهود ولا إله المسيحية، إن إلهه موجود علوي غامض لا يعنى بشؤون الناس"[١].

لذلك يرى فولتير أن المؤمن الوحيد الذي يجب أن نعترف به هو المؤمن بالله المنكر للوحي، والإنجيل الوحيد الذي يجب أن نقرأه هو كتاب الطبيعة الكبير الذي كتبته يد الإله وختمته بخاتمها، والديانة الوحيدة التي يجب التبشير بها هي عبادة الله والسعي للخير[٢].

وكذلك من الربوبيين المعاصرين **لفولتير** الفيلسوف جان جاك **روسو** (١٧٨٨م) صاحب كتاب العقد الاجتماعي، والذي أثرت أفكاره السياسية في الثورة الفرنسية وفي تطوير الاشتراكية ونمو القومية، وفي كتابه "إميل"، "أو دراسة في التربية" يدافع روسو عن مبادئ الربوبية، ويرفض الأخلاق القائمة على الوحي، خاصة عندما قال: "لست أخمن بوجود قواعد للسلوك، ولكنني أجد هذه القواعد منحوتة في أعماق قلبي، وقد سطرتها الطبيعة بحروف لا تمحى"[٣]، وهذا يعني أن اعتقاده في الإله قائم على أساس شخصي ذاتي لا يمد أي شخص آخر بأسس لهذا الاعتقاد.

المرحلة الثالثة:

كانت في **الولايات المتحدة الأمريكية**، والسبب في انتشاره فيها النزوح الأوروبي إلى الأمريكتين، فظهر وانتشر فيها، ومن أبرز المنظرين للاتجاه الربوبي في الولايات المتحدة الأمريكية

---

(١) انظر: موسوعة الفلسفة، د.عبد الرحمن بدوي، ٢/ ٢٠٦، و: تاريخ الفكر الأوروبي الحديث، رونالد سترومبرج، ١/ ١٨٤.

(٢) انظر: تكوين العقل الحديث، جون هرمان راندال، ص ٤٤٦.

(٣) انظر: الإلحاد في الغرب، رمسيس عوض، ص١٨٢، و: تاريخ الفلسفة الغربية، براترند رسل، ترجمة د. محمد فتحي الشنيطي الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٧م، ص٢٩٧، ٢٩٨، و: تاريخ الفلسفة الحديثة، وليم كلي رايت ص٢٣٣.

الفيلسوف **توماس باين** مؤلف كتاب "عصر العقل" الذي ساعد على انتشار الربوبية، وقد تُرجم إلى اللغات الرئيسة (أو الأوسع انتشارا) في العالم، وكان يؤيد فيه الاستغناء بالعقل والمنطق عن الوحي، كما رفض المعجزات، وهاجم الكتب المقدسة، ورفض عصمتها، واعتبرها قطعًا أدبية وليست وحيًا إلهيًا، كما رفض دعوى ألوهية المسيح، والقول بالثالوث وعبادة القديسين، وصلب المسيح، كما نبذ تقديس الأشخاص والتماثيل المنتشرة داخل الكنائس والأديرة...[١]، كما يؤكد على أن المسيح ليس إلا معلمًا أخلاقيًا، وينادي بتأسيس الأخلاق على أسس مستقلة عن اللاهوت[٢].

كما ساهمت بعض الشخصيات في نشر الربوبية في أمريكا، مثل: بنيامين فرانكلين، وتوماس جيفرسون، وإيثان إلن... وغيرهم[٣].

ومن المعاصرين الفيلسوف أنطوني فلو (ت: ٢٠١٠م) الذي كان من أشرس ملاحدة القرن العشرين قبل تراجعه عن إلحاده في أخريات حياته وتحول إلى الربوبية[٤]، وقد نسب الإيمان بالربوبية أيضًا إلى بعض رؤساء الولايات المتحدة الأمريكية[١].

---

(١) انظر: عصر العقل: تحقيق في اللاهوت الحقيقي والأسطوري، توماس باين، ترجمة محمد موسى، بدون، ١/ ٣ وما بعدها.

(٢) انظر: عصر العقل، توماس باين، ١/ ١١، و: تاريخ الفلسفة الحديثة، وليم كلي رايت، ص ٢٤٨، و: الإلحاد في الغرب، رمسيس عوض، ص١٦١.

(٣) راجع: المسيحية عبر العصور: تاريخ الكنيسة المسيحية، إيريل كيرنز، ترجمة عاطف سامي برنابا، ص٤٤١، ٤٤٢.

(٤) انظر: هناك إله: كيف غير أشرس ملاحدة العالم أفكاره، أنتوني فلو، ترجمة جنات جمال، مركز براهين ط١، ٢٠١٧م، ص١٠٢.

أما اليوم فإنهم أخذوا في التوسع والانتشار، مستعينين بما يروجونه من سهولة فكرتهم وبساطتها، واعتضادها بالعقل وتقديرها للعلم، وقد نظموا أنفسهم فأصبح لهم اتحاد عالمي للربوبيين في العاصمة الأمريكية واشنطن[٢].

(١) انظر: عالم دون أنبياء، حسين الخشن، منارات، ط١، ٢٠١٧م، ص ٢١.

(٢) انظر: تاريخ الفلسفة الحديثة، وليم كلي رايت، ص ٢٢٨ – ٢٣٧، و: تاريخ الفكر الأوروبي الحديث ١٦٠١-١٩٧٧م، رونالد سترومبرج، ١/ ١٧١، و: عالم دون أنبياء، حسين الخشن، ص ٢١.

المبحث الثالث: الأسس الفكرية للتيار الربوبي.

سبق وأن بينا اختلاف المفكرين في تعريف الربوبية، الذي نتج عنه اختلافهم في الخصائص الأساسية الذي يتميز بها هذا التيار(١)، لكنهم يتفقون فيما يلي:

١- **الإله** هو محور عقيدتهم، فهم يعتقدون بوجود خالق عظيم مصمم لهذا الكون، لا علاقة له بالكون، وهو مفارق للطبيعة، يقول أحدهم: "الله قوة كونية هي مصدر الخلق، ومصدر القوانين والرسوم والنماذج الموجودة في جميع أنحاء الطبيعية"(٢).

٢- يعتقدون بأن المصمم العظيم، **خلق الكون على نظام ميكانيكي داخلي، مستغنٍ به عن التدبير الإلهي** للبقاء(٣)، فلا يتدخل في الكون، وكل الحوادث في الكون هي أسباب طبيعية، وليس للإله أي علاقة بها(٤)، فالإله لديه خطة لهذا الكون لا تتغيير سواء بتدخله في شؤون الحياة البشرية أو من خلال تعليق القوانين الطبيعية للكون.

٣- العقل عندهم هو المصدر الوحيد لمعرفة الله، ومبدأ الوجود والغاية منه، والعقل وحده، وبدون أن يكون في حاجة إلى وحي أو إلهام، قادر على الوصول إلى المبادئ الأساسية الصحيحة المشتركة للدين والأخلاق؛ لذلك يرفضون الوحي والنصوص الدينية، ويبجلون العلم، والعقل التجريبي.

---

(١) راجع: تاريخ الفكر الأوروبي الحديث ١٦٠١- ١٩٧٧م، رونالد ستورمبرج، ١/ ١٧٧.

(٢) من مقال إلكتروني بعنوان "جمال الربوبية"، صامويل، منشور بمدونة الربوبي العربي، بتاريخ: ٢٠٠٩/٨/٢٦م
http: //arabicdeist.blogspot.com/٠٨/٢٠٠٩/blog-post_ ٢٦.html

(٣) انظر: براهين النبوة والرد على اعتراضات المستشرقين والمنصرين، سامي عامري، ص٣١.

(٤) انظر: عالم دون أنبياء، حسين الخشن، ص ٥٥.

والبشر لا يمكن أن يعرفوا الله إلا عن طريق العقل ومراقبة الطبيعة وليس عن طريق الوحي أو المعجزات.

يقول أحدهم: "الإنسانية ستتعلم أكثر عن مفهوم الإله، من خلال دراسة الخلق، وليس من خلال الكتب المقدسة للأديان التي هي من صنع مؤسسيها"، ويضيف أيضًا: "يبدي العديد من الناس الغضب من الإله للمرض والكوارث، ولكن للعلوم الإنسانية القدرة على إزالة وتحييد كل هذه، بدراسة مبادئ الطبيعة استأصلنا العديد من الأمراض، وحمينا أنفسنا من معظم الكوارث الطبيعية"[١].

٤- **يرفضون** فكرة أن **الإله كشف نفسه للإنسانية** عن طريق كتب مقدسة، مخالفين لغيرهم الذين يرون أن من أعظم أدلة وجود الله هو إعلان الله عن نفسه عن طريق أنبيائه وتصديقهم بالمعجزات والكتب المقدسة.

٥- الربوبيون **ينكرون الوحي والنبوة والمعجزات**، ويزعمون أن الإله غير قادر على إيجاد المعجزات؛ لأن قوانين الكون ثابتة لا تتغير، "والكون آلة ضخمة تعمل بقانون لا يتعطل، ومدعي خلاف ذلك خرافي لا يعقل أو ماكر يتخذ قصص الخوارق سبيلا لخداع الناس"[٢]، وأن كل الأنبياء مُدّعون وليسوا بصادقين، فالله لا يكلفّنا بشرائع ولا عبادات خارج نطاق العقل الإنساني، ولا توجد ضرورة لهذه العبادات القاسية، والتي نجدها عند كثر من المتدينن جوفاء خالية.

---

(١) من مقال إلكتروني بعنوان "جمال الربوبية"، صامويل، منشور بمدونة الربوبي العربي، بتاريخ: ٢٠٠٩/٨/٢٦م.

(٢) من مقال إلكتروني بعنوان المواقف الدينية من الإيمان بالله، منشور بموقع المحاورون، بتاريخ: ٢٤ مايو، ٢٠٢١ م

https: //almohaweron.co/religious-attitudes-toward-belief-in-god/.

٦- يعتقد الربوبيون أن **غاية الحياة تحقيق السعادة في هذه الدنيا**، وأن على الإنسان أن يلتزم بالأخلاق التي يهديه إليها عقله، وعامة هذه الأخلاق عالمية، يدركها الإنسان في كل بيئة لأنها من صميم طبيعة الإنسان وفي متناول الإدراك العقلي[١].

(١) من مقال إلكتروني بعنوان المواقف الدينية من الإيمان بالله، منشور بموقع المحاورون، بتاريخ: ٢٤ مايو، ٢٠٢١ م

https: //almohaweron.co/religious-attitudes-toward-belief-in-god/.

الفصل الثاني: التدبير الإلهي بين المثبتين والمنكرين.

المبحث الأول: التدبير الإلهي في الفكر الإسلامي.

التدبير مصدر دبَّرَ، ودبَّر الأمرَ: فعله بعناية وعن فكر ورويّة، نظر فيه وصرّفه على ما يريد[١]، دَبَّرَ دَبَّرَ الأَمْرَ وتَدَبَّره: نظر في عاقبته، واسْتَدْبَرَه: رأَى في عاقبته ما لم ير في صدره، والتَّدْبِيرُ في الأَمر: أَن تنظر إِلى ما تَؤُول إِليه عاقبته[٢]، أو كما قال الجرجاني: "إنه عبارة عن النظر في عواقب الأمور"[٣].

أو كما قال ابن عاشور: إن " التدبير النظر في عواقب المقدرات وعوائقها لقصد إيقاعها تامة فيما تقصد له محمودةَ العاقبة.

والغاية من التدبير الإيجاد والعملُ على وفق ما دُبر. وتدبير الله الأمور عبارة عن تمام العلم بما يخلقها عليه، لأن لفظ التدبير هو أوفى الألفاظ اللغوية بتقريب إتقان الخلق"[٤].

فتدبير العالم بمعنى: نظم أجزائه نظمًا جيدًا مُتقنًا بحيث يتوجه كل شيء إلى غايته المقصودة منه، وهي آخر ما يمكنه من الكمال الخاص به، وتدبير الكل هو إجراء النظام العام العالمي، بحيث يتوجه إلى غايته الكلية، وهي الرجوع إلى الله، وظهور الآخرة بعد الدنيا[٥].

قال تعالى: ﴿يُدَبِّرُ الأَمْرَ يُفَصِّلُ الآيَاتِ﴾[١]: أي يصرِّف العوالم كلَّها بقدرته وحكمته[٢]، ويصرف شأن الكائنات بنظام دقيق وحكمة بالغة[٣]، وينزل الأمور في مراتبها على إحكام عواقبها[٤].

---

(١) انظر: معجم اللغة العربية المعاصر، أحمد مختار عبد الحميد عمر، عالم الكتب، ط١، ٢٠٠٨م، ١/ ٧٢٠.

(٢) انظر: لسان العرب، ابن منظور، ٤/ ٢٧٣.

(٣) التعريفات، الشريف الجرجاني، ص١٧.

(٤) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ١١/ ٨٧.

(٥) انظر: الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين، ١١/ ٢٨٩.

ولأجل وجود الصلة الشديدة بين التدبير والخلق نرى - ﷺ - بعدما يذكر مسألة خلق السماوات والأرض يذكر مسألة تسخير الشمس والقمر، الذي هو نوع من التدبير، حيث قال: ﴿اللهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى **يُدَبِّرُ الْأَمْرَ** يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾[٥].

وصيغ "يدبر" و"يفصل" بالمضارع؛ لأن التدبير والتفصيل **متجدد متكرر** بتجدد تعلق القدرة بالمقدورات، وأما رفع السماوات وتسخير الشمس والقمر فقد تم واستقر دفعة واحدة[٦].

قال الإمام الرازي في تفسير قوله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ الأَمْرَ﴾ "وكل واحد من المفسرين حمل هذا على تدبير نوع آخر من أحوال العالم، والأَوْلى حمله على الكل فهو يدبرهم بالإيجاد والإعدام وبالإحياء والإماتة والإغناء والإفقار، **ويدخل فيه** إنزال الوحي، وبعثة الرسل، وتكليف العباد، وفيه دليل عجيب على كمال القدرة والرحمة، وذلك لأن هذا العالم المعلوم من أعلى العرش إلى ما تحت الثرى أنواع وأجناس لا يحيط بها إلا الله تعالى"[٧].

---

(١) سورة الرعد، من الآية: ٢.

(٢) انظر: معجم اللغة العربية المعاصر، أحمد مختار عبد الحميد عمر، عالم الكتب، ط١، ٢٠٠٨م، ١/ ٧٢٠.

(٣) انظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ط١، ١٩٧٣م، ٤/ ٨٢.

(٤) انظر: التفسير البسيط، للإمام الواحدي النيسابوري، تحقيق ونشر عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١، ١٤٣٠هـ، ١١/ ١٢١.

(٥) سورة الرعد، الآية: ٢.

(٦) انظر: التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ١٤/ ٨٣.

(٧) التفسير الكبير، للإمام الرازي، دار الفكر، لبنان، ط١، ١٩٨١م، ١٨/ ٢٣٩.

فإذا تأملنا في هذا النص، وجمعنا إليه ما يراه العلماء من أن التدبير من خواص الألوهية.

حيث إن الألوهية هي: الاتصاف بالصفات التي لأجلها استحق المتصف بها أن يكون معبودا.

وهذه الصفات هي المسماة بخواص الألوهية، وهي: خلق العالم، **وتدبيره** واستحقاق العبادة، **والتفرد بحق التشريع**، والغنى المطلق عن غيره[١].

وعليه: فالتدبير من خواص الألوهية، ويمكن أن نقسمه إلى نوعين: التدبير الكوني، والتدبير التشريعي.

– **فالتدبير الكوني: يتعلق بما** يظهر من أفعاله تعالى التي يتجلى فيها لطفه بالكون، واهتمامه الدائم بمخلوقاته وعنايته بهم.

– **وأما التدبير التشريعي:** فيتعلق **بتفرده** تعالى بالتشريع **ويدخل فيه** إنزال الوحي، وبعثة الرسل، وتكليف العباد، وإنزال الكتب السماوية، ووضع الأحكام والتشريعات والقوانين، وكذا توجيه الأفراد لتنظيم حياتهم لما فيه خيرهم وصلاحهم.

فالله ﷻ لم يترك العالم بدون معيار للأفعال الإنسانية، وهذا المعيار يتحقق عن طريق الشريعة الإلهية، وهذا ليس للإنسان فقط بل يشمل جميع الكائنات، غير أنه في المخلوقات غير الناطقة بالإلهام الإلهي لهذه المخلوقات[٢]، أما الناطق فبالعقل، فسبحان ﴿الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾[١].

---

(١) انظر: منهج الأشاعرة في العقيدة بين الحقائق والأوهام، الشيخ محمد صالح بن أحمد الغرسي، ص١٧١.

(٢) راجع: رد محمد فريد وجدي على الماديين الذين يدعون أن المشاهدات الكونية العجيبة الموجودة في حياة الحشرات، والتي تشهد على وجود الصانع الحكيم، ليست غير نتائج الاتفاق أو الخواص الطبيعية العامة للمادة.

=

فالمخلوقات في كل شؤونها وأحوالها وأزمنتها مرتبطة بالله تعالى، محتاجة إليه، ويستحيل أن يستغني موجود عنه في شأن من شؤون وجوده.

وانطلاقًا مما سبق يتضح: أن التدبير الإلهي له علاقة باتصاف الله تعالى بصفة الوحدانية، كما أنه من خواص الألوهية.

فقد عرّف علماء اللغة التوحيد بأنه: مصدر وحد بتشديد الحاء، تقول: وحدت الشيء أي جعلته واحدا، أو اعتقدته واحدًا. والواحد من صفات الله تعالى معناه: أنه لا ثاني له، **وأنه المنفرد بالإيجاد والتدبير**(٢).

وعرّفه علماء العقيدة بأنه: إفراد المعبود الحق بالعبادة، مع اعتقاد وحدته في الذات والصفات والأفعال(٣).

أي اعتقاد أنه لا يوجد ذات مثل ذات الله ﷻ، ولا يوجد لغيره صفات مثل صفاته، **وأنه المتفرد** بخلق الأشياء وإيجادها وليس لغيره أي دخل في خلق الأشياء وإيجادها.

مقال بعنوان: تجلي التدبير الإلهي في أعمال الحيوانات: مشاهدات عجيبة في حياة الحشرات، مقال منشور بمجلة الأزهر، بمجموع مقالات سنة ١٣٥٢هـ، طبعة مشيخة الأزهر الشريف بمصر، وسقيفة الصفا العلمية بماليزيا، ط١، ٢٠٢٣م، ٤/ ٤١٨ – ٤٢١.

(١) سورة طه، من الآية: ٥٠.

(٢) انظر: لسان العرب، ابن منظور، مادة وحد، ٣/ ٤٥١.

(٣) الإقتصاد في الاعتقاد، الغزالي، ومعه السداد في الإرشاد إلى الاقتصاد في الاعتقاد، د.مصطفى عبد الجواد عمران، دار البصائر، القاهرة، ط١، ٢٠٠٩م، ص٣٧.

وذكر الإمام التفتازاني أن " حقيقة التوحيد: اعتقاد عدم الشريك في الألوهية وخواصها، ولا نزاع لأهل الإسلام في أن **تدبير العالم**، وخلق الأجسام، واستحقاق **العبادة**، وقدم ما يقوم بنفسه، كلها من الخواص..."[١].

وقال الكمال بن الهمام في المسايرة: "لما ثبت وحدانيته في الألوهية ثبت استنادُ كل الحوادث إليه"[٢]، وفي شرح كمال الدين ابن أبي شريف قال: إن **الألوهية** هي "الاتصاف بالصفات التي لأجلها استحق أن يكون معبودا، وهي صفاته التي توحد بها سبحانه، فلا شريك له في شيء منها، وتسمى **خواص الألوهية**، ومنها الإيجاد من العدم، **وتدبير العالم**، والغنى المطلق عن الموجبِ والموجِد في الذات، وفي كل الصفات، فثبت افتقار الحوادث في وجودها إليه، فكل حادث من السموات وحركاتها بكواكبها الثابتة وحركات كواكبها السيارة على النظام الذي لا اختلال فيه، والأرضين وما فيها وما عليها من نبات وحيوان وجماد، وما بينهما من السحاب المسخر ونحوه، كل ذلك مستند في وجوده إلى الباري سبحانه"[٣].

وجدير بالذكر: أن الفعل المضارع (يدبر) ورد أربع مرات في القرآن الكريم:

١- في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ **يُدَبِّرُ الْأَمْرَ** مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِن بَعْدِ إِذْنِهِ ذَٰلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾[٤].

---

(١) شرح المقاصد في علم الكلام، التفتازاني، تحقيق عبد الرحمن عميرة، عالم الكتب، بيروت، ط٢، ١٩٩٨م، ٤/ ٣٩.

(٢) المسامرة شرح المسايرة في العقائد المنجية في الآخرة، كمال الدين ابن أبي شريف، تحقيق: كمال الدين قاري، وعز الدين معميش، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ٢٠٠٤م، ص٨٣.

(٣) المسامرة شرح المسايرة في العقائد المنجية في الآخرة، كمال الدين ابن أبي شريف، ص٨٣.

(٤) سورة يونس، الآية: ٣.

٢- قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن **يُدَبِّرُ الْأَمْرَ** فَسَيَقُولُونَ اللهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾(١).

٣- قوله تعالى: ﴿اللهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى **يُدَبِّرُ الْأَمْرَ** يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾(٢).

٤- قوله تعالى: ﴿**يُدَبِّرُ الْأَمْرَ** مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾(٣).

وفي ذات السياق نجد **القرآن الكريم** كثيرًا ما يلفت نظر الإنسان لما في هذا الكون من التنظيم الدقيق والنظام المتقن، ودعا إلى التدبر والنظر في أسرار المخلوقات، ليدل دلالة قاطعة على **التدبير الإلهي** لهذا الكون وعناية الله التامة بما فيه.

فالله تعالى بين في محكم تنزيله أنه **خالق** كل شيء حيث قال: ﴿اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾(٤)، وأنه ﴿عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾(٥)، وأنه **المدبِّر** لشؤون هذا الكون حيث قال: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّماءِ إِلَى الْأَرْضِ﴾(٦)، وأن الخلق الإلهي جاء على أكمل صورة وأتمها وأبهاها حيث قال: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾(٧)، وعلى **تقدير محكم** فقال: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ

---

(١) سورة يونس، الآية: ٣١.

(٢) سورة الرعد، الآية: ٢.

(٣) سورة السجدة، الآية: ٥.

(٤) سورة الزمر، الآية: ٦٢.

(٥) سورة هود، الآية: ٥٧، سورة سبأ، الآية: ٢١.

(٦) سورة السجدة، الآية: ٥.

(٧) سورة السجدة، الآية: ٧.

تَقْدِيرًا﴾[١]، وأنه لا عيب فيه ولا عوج فقال: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَماواتٍ طِباقًا ما تَرى في خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفاوُتٍ فارْجِعِ البَصَرَ هَلْ تَرى مِن فُطُورٍ﴾[٢]، ولا يكون خلقه - لما خلق - **عبثًا** أو بغير حكمة: ﴿وما خَلَقْنا السَّماءَ والأَرْضَ وما بَيْنَهُما لاعِبِينَ﴾[٣]، بل كيف يكون في خلقه شيء من ذلك وقد ﴿أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾[٤].

ولا يكتفي القرآن الكريم بأن يرينا قدرة الله تعالى وهي تعمل في الكون، وعلمه المحيط بالمخلوقات، وتصريفه للشئون المختلفة... ولكنه - مع ذلك - يعرفنا بالغاية التي خلق الكون من أجلها.

فقد خلق الله هذا الكون من أجل الإنسان قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾[٥]، كما رزقه وفضله على كثير من خلقه: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾[٦]، وسخر له جميع ما خلق حيث قال: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ﴾[٧]، وشرفه بالتكليف وحمل الأمانة التي عجز عنها غيره: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن

---

(١) سورة الفرقان، الآية: ٢.

(٢) سورة الملك، الآية: ٣.

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ١٦.

(٤) سورة طه، الآية: ٥٠.

(٥) سورة الإسراء، الآية: ٧٠.

(٦) سورة البقرة، الآية: ٣٠.

(٧) سورة الجاثية، الآية: ١٣.

يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾[١]، ولم يكلفه ما لا يطيق ﴿لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[٢]، كما أنه أرسل الرسل وأنزل الكتب لهدايته ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ﴾[٣]، وبين له طريق الخير من طريق الشر ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾[٤]، كما منحه وسائل المعرفة والإدراك ليميز الحق من الباطل ﴿وَاللهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[٥]، وذم الذين أعرضوا عن الحق بتعطيلهم لوسائل التعقل ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾[٦].

وعلى هذا: فالتدبير الإلهي له مدلول يتصل بفكرة وجود إله لهذا الكون، وما يظهر من أفعاله التي يتجلى فيها لطفه بالكون، واهتمامه الدائم بمخلوقاته وعنايته بهم، وكذا توجيه الأفراد لتنظيم حياتهم لما فيه خيرهم وصلاحهم.

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٧٢.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٣.

(٤) سورة البلد، الآية: ١٠.

(٥) سورة النحل، الآية: ٧٨.

(٦) سورة الأنفال، الآية: ٢٢.

المبحث الثالث: التدبير الإلهي عند التيار الربوبي بين التأثر بالمسيحية وفلاسفة اليونان في عصر النهضة الأوربية.

نشأت الربوبية في عصر النهضة، وقد تميز هذا العصر بظاهرة بعث الآراء اليونانية القديمة والتعصب لها[١]، وذلك بعد أن كانت الكنيسة وصية على الفكر ومهيمنة على كل جوانب الحياة في العصر الوسيط[٢].

ومن الناحية التاريخية يصعب فصل الأسباب التي أدت إلى ظهور موقف التيار الربوبي من التدبير الإلهي لتشابكها وتداخلها، لكن تماشيًا مع العصر الذي ظهرت فيه يمكن أن نعتبر أنها ظهرت تحت **تأثير تصورين**:

الأول: **تصور يثبت التدبير الإلهي**، وذلك يتمثل في تأثير الديانة المسيحية التي **تمردوا** عليها.

الثاني: **تصور ينفي التدبير الإلهي**، وذلك يتمثل في آراء أرسطو، وأبيقور من فلاسفة اليونان، ويلحق بهم من يقولون بالآلية الميكانيكية **ويفسرون الكون تفسيرا ماديا آليا صرفا**، وما يصاحب ذلك من إنكار للعلة الغائية والتدبير الإلهي[٣].

وتفصيل ذلك فيما يلي:

---

(١) انظر: دراسات في الفلسفة الحديثة، د.محمود حمدي زقزوق، دار الطباعة المحمدية، ط١، ١٩٨٥م، ص٢٥.

(٢) انظر: دراسات في الفلسفة الحديثة، د.محمود حمدي زقزوق، ص٨.

(٣) راجع: الله في الفلسفة الحديثة، جميس كولينز، دار قباء للطباعة والنشر، ١٩٩٨م، ص١٠٧، و: تاريخ الفكر الأوربي الحديث، رونالد سترومبرج، دار القارئ العربي، ١٩٩٤م، ص٦٧، و: ربيع الفكر اليوناني، عبد الرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصرية، ص١٥١-١٥٦.

أولاً: التصور المسيحي للتدبير الإلهي:

أما عن التصور المسيحي للتدبير الإلهي فنجده ابتداء عند معظم الربوبيين الذين ولدوا مسيحيين وتأثروا **بتصور الكتاب المقدس** للتدبير الإلهي الذي يؤكد على أنه يشمل جميع الكائنات، كما أنه حريص على مراقبة أعمال البشر والاهتمام بهم، ويمدهم بأسباب الوجود، ويسمع تضرعهم، ويحفظهم من كل سوء: " الرب حنان ورحيم، طويل الروح وكثير الرحمة، الرب صالح للكل ومرَاحِمُهُ على كل أعماله...، الرب عاضد كل الساقطين ومقوم كل المنحنين، أعين الكل إياك ترتجي، وأنت تعطيهم طعامهم في حينه، تفتح يدك فتشبع كل حي رضا، الرب بار كل طرقه، ورحيم في كل أعماله الرب قريب لكل الذين يدعونه، الذين يدعونه بالحق، يعمل رضا خائفيه ويسمع تضرعهم فيخلصهم، يحفظ الرب كل محبيه ويهلك جميع في الأشرار"[(١)].

وهذا التدبير الإلهي يتضمن حفظ المخلوقات من كل سوء، وتوجيه الخليقة توجيهاً منظماً، بعد أن أتم صنعتها وأحكم تنظيمها بحكمته: "ما أعظم أعمالك يا رب! كلها بحكمة صنعت. ملآنة الأرض من غناك..."[(٢)].

كما يشير الكتاب المقدس إلى أن "الرب يميت ويحيي، يهبط إلى الهاوية ويصعد، الرب يفقر ويغني، يضع ويرفع، يقيم المسكين من التراب، يرفع الفقير من المزبلة للجلوس مع الشرفاء ويملكهم كرسي المجد"[(٣)].

وهذا التدبير الإلهي لا يغفل عن عصفور واحد، فإنه يرزق من غير حول منه ولا قوة، فحري ببني البشر أن يطمئنوا ويفوضوا أمورهم لخالقهم: " أليست خمسة عصافير تباع بفلسين، وواحد

---

(١) سفر المزامير، ١٤٥: ٨-٢٠.

(٢) سفر صموئيل الأول ٢: ٦-٨.

(٣) سفر المزامير، ١٠٤: ٢٤.

منها ليس منسيا أمام الله؟ بل شعور رؤوسكم أيضا جميعها محصاة، فلا تخافوا! أنتم أفضل من عصافير كثيرة! ...، تأملوا الغربان: إنها لا تزرع ولا تحصد، وليس لها مخدع ولا مخزن، والله يقيتها، كم أنتم بالحري أفضل من الطيور! ومن منكم إذا اهتم يقدر أن يزيد على قامته ذراعا واحدة؟ فإن كنتم لا تقدرون ولا على الأصغر، فلماذا تهتمون بالبواقي؟ تأملوا الزنابق كيف تنمو: لا تتعب ولا تغزل...، فإن كان العشب الذي يوجد اليوم في الحقل ويطرح غدا في التنور يلبسه الله هكذا، فكم بالحري يلبسكم أنتم يا قليلي الإيمان؟ "[(١)].

وفي **اللاهوت المسيحي** نجد أن فكرة التدبير الإلهي فكرة إيمانية تستند إلى ذات الإله وصفاته كما تنطوي على مفهوم الموجود الأسمى -الإله- ذي الحكمة، والقدرة والخير المطلق، الذي يهدي الخلائق ويسير أمورها -صغيرها وكبيرها- إلى تحقيق أسمى الغايات الروحية، حيث إن الفعل الإلهي يستند إلى غاية إلهية، وهو ما يعكس حقيقة الذات الإلهية وكمالاتها[(٢)].

وقد قرر القديس **أوغسطين (ت: ٤٣٠م)** أن الإله قد خلق العالم بقدرته وصوره بشكل محكم ومنتظم، كما أن عنايته في **تدبير** شؤون خلقه لا يشاركه فيها أحد ولو كان ملكًا من الملائكة[(٣)].

---

(١) إنجيل لوقا ١٢: ٦-٢٨، وانظر: إنجيل متى، ٦: ٢٦-٣٠، إنجيل متى، ١٠: ٢٩-٣٠.

(٢) راجع: موسوعة الدين والأخلاق، جايمس هاستنجز، ٦/ ٣٢٠، و: نماذج من الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط، أوغسطين-أنسيلم- توما الأكويني، ترجمة وتقديم وتعليق د.حسن حنفي حسنين، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط٢، ١٩٧٨م ص٣٢، و: وجود الله في فلسفة أوريجن وأوغسطين، ميلاد زكي غالي، رسالة ماجستير بكلية الآداب جامعة الإسكندرية، ١٩٨٥م، ص١٣٧، و: العناية الإلهية ومشكلة الشر فى الفكر الفلسفي، ثائر على الحلاق، دار النوادر، دمشق، ط١، ٢٠١٤م، ص٨٧.

(٣) انظر: مدينة الله، للقديس أوغسطينوس، تعريب الخور أسقف يوحنا الحلو، سلسلة التراث الروحي، دار المشرق، بيروت، ط٣، ٢٠١٤م، ٢/ ١٠٣، ٤٨٢، و: اعترافات القديس أغسطينوس، تعريب الخوري يوحنا

=

ويرى القديس توما الأكويني (ت: ١٢٧٤م) أن "ما لم تحفظه يد المدبِّر يتجه إلى العدم"[١].

ويرى الأكويني أن التدبير الإلهي هو: فعل الله تعالى في الكون، وأفعاله تعالى حادثة، أو هو: سوق الأشياء المدبرة إلى الغاية الخيرة، وعليه: فغرض التدبير الإلهي عنده إيصال الأشياء إلى كمالها.

وقد فرق الأكويني بين العناية والتدبير؛ فالعناية الإلهية عنده: هي السبب الخاص الذي يجعل الأشياء تنساق إلى غايتها، وهي أزلية.

بينما التدبير الإلهي: هو تنفيذ هذا الانسياق، ولا يكون إلا زمانيًا، وعلى هذا فالعناية عندما تتعلق بالموجودات تسمى تدبيرًا[٢]، فالعناية أمر اعتباري قائم في عقل المعتني، بينما التدبير هو انفاذ العناية في المخلوقات[٣].

ولأجل هذا فقد خصص لكل مصطلح منهما فصلاً في كتابه الخلاصة اللاهوتية[٤].

الحلو، دار المشرق، ط٦، ٢٠٠٠م، ك٣، ص٥٢، ك٥، ص٨٢، و: فلسفة العصور الوسطى، د.عبد الرحمن بدوي، مطبعة النهضة المصرية، ط٢، ١٩٦٩م، ص٢٧.

(١) الخلاصة اللاهوتية، توما الأكويني، ترجمة: الخوري بولس عواد، دار صادر، بيروت، ١٩٩٨م، ٢/٥٨٧.

(٢) انظر: الخلاصة اللاهوتية، توما الأكويني، ١/ ٢٩٤، ٢٩٥، و: مبادئ اللاهوت المسيحي، جون ماكواري، لندن، ١٩٦٦م، ص٢١٩، و: الله في فلسفة القديس توما الأكويني، ميلاد ذكي غالي، منشأة المعارف بالاسكندرية، ط١، ١٩٩٨م، ص١٥.

(٣) انظر: العناية الإلهية ومشكلة الشر فى الفكر الفلسفي، ثائر الحلاق، ص٨٧، ٣٢٣.

(٤) جاء المبحث (الثاني والعشرون) في الجزء الأول بعنوان (في عناية الله)، بينما حمل المبحث (الثالث بعد المئة)، في الجزء الثاني العنوان التالي: في تدبير الكائنات) .

ويستند الأكويني للكتاب المقدس لتأكيد ذلك فقد جاء فيه: "... لكن عنايتك أيها الأب هي التي **تدبره**، لأنك أنت الذي فتحت في البحر طريقا، وفي الأمواج مسلكا آمنا..."[١].

وقد فرق الأكويني بين مبدأ التدبير، وبين إنفاذ ذلك التدبير؛

فأما بالنسبة للأول: فالله تعالى يستقل بتدبير الكائنات على نحو مباشر، وتحقيق ذلك: لما كان الله تعالى عين ماهية الخيرية، فكل وصف يتصف به يجب أن يكون في أعظم درجة وأفضلها، وإذا كان مبدأ التدبير يعتمد أساسًا على معرفة جزئيات الأشياء ودقائقها، فلا بد -إذاً- من نعت الإله بما يليق به، ولا يكون ذلك إلا بتدبيره لكل شيء كليًا كان أو جزئيًا، كحال الطبيب الماهر حيث لا تكتمل معرفته بمهنته إلا بمعرفة دقائق الأشياء المتعلقة بها[٢].

وأما الثاني -أي الإنفاذ- فإن الله تعالى يدبر بعض الأشياء بواسطة بعضها الآخر، فهو يدبر الأدنى بواسطة الأعلى، لا لنقص قدرته، بل لغزارة خيريته حتى يشرك المخلوقات في شرف العلية[٣].

وذلك لما كان غرض التدبير الإلهي إيصال الأشياء إلى كمالها، فإنه حينئذ كلما منح المدبر المدبر كمالاً أعظم كان التدبير أفضل وأحسن، وإذا كان ذلك كذلك فإن الأكمل للكائن أن ينال خيريته من الله تعالى، ومن ثم يمنح كمالاً آخر بحيث يكون علة لخيرية غيره، ولو أن تولى التدبير وحده لانتفى عن الأشياء كمالها[٤].

---

(١) سفر الحكمة ١٤: ٣.

(٢) انظر: الخلاصة اللاهوتية، توما الأكويني، ٣٠١/١.

(٣) انظر: الخلاصة اللاهوتية، توما الأكويني، ٣٠٠/١.

(٤) انظر: الخلاصة اللاهوتية، توما الأكويني، ٥٩٦/٢.

ثانيًا: تصور المنكرين للتدبير الإلهي من الفلاسفة اليونان.

شكل فكر فلاسفة اليونان الوعي الأوربي في عصر النهضة، فقد تميز هذا العصر بظاهرة بعث الآراء اليونانية القديمة والتعصب لها في مقابل الفكر المسيحي.

ولما كانت الفلسفة اليونانية تفتقر لتصور صحيح عن الألوهية، مما جعل الدين أضعف جوانبها، إذ وقف متقدميهم عند المادة أو الأسطورة في تصورهم للآلهة، وتفسيرهم لنشأة الكون، فإننا سنتناول موقف المنكرين للتدبير الإلهي من فلاسفة اليونان بالتفصيل:

١- موقف أرسطو من التدبير الإلهي:

ذهب أغلب مؤرخي الفلسفة إلى أن إله **أرسطو** (ت: ٣٢٢ق.م) هو "المحرِّك الذي لا يتحرَّك"، وأنه موجود خالد لا يتغير[(١)]، ومع هذا فهو منبع كل تغير وحركة، لأن عمليات الطبيعة الأبدية تتطلب وجود سبب أو أكثر يكون مصدر الحركة الأبدي، إذ إن عدم ذلك يؤدي إلى تسلسل الحركة بشكل لانهائي وذلك محال.

والمحرك الأول "غير المتحرك" حاضر غير متغير، وحضوره هذا يجعل العالم ينمو ويتكون، بحيث يجعل سلسلة الصور الكامنة في المادة تخرج إلى التحقق الفعلي.

---

(١) انظر: أرسطو عند العرب، عبدالرحمن بدوي، (مقالة «اللام» من كتاب ما بعد الطبيعة لأرسطو)، وكالة المطبوعات بالكويت، ط٢، ١٩٧٨م، ص٣، و: قصة الفلسفة، ول ديورانت، ص٣٠٢، و: في عالم الفلسفة، أحمد فؤاد الأهواني، مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٣م، ص٤٧، و: تاريخ الفلسفة اليونانية، يوسف كرم، ص١٧٨.

ومن ثم فإن الإله يعلو على العالم ويقف خارج عملياته، وهو ليس مكونـاً من مادة وصورة كغيره من موجودات العالم، وإنما هو صورة خالصة مجردة وفعل خالص، أي أنه بعبارة أخرى حقيقة مجردة[١].

ولما كان المحرك الأول عنده ليس ماديـاً فلا يمكنه أن يقوم بأي فعل مادي، لكي لا يلحقه النقص، لذلك فموضوع تفكره هو المعرفة العقلية الخالصة المنزهة عن أي تغير أو معنى حسي، فهو إذن عقل وعاقل ومعقول، وجميع ذلك بالنسبة إليه شيء واحد[٢]، وهو في سعادة أبدية وتفكير دائم في كماله وذاته[٣]، فيكون عقله بذاته ومن ذاته ولذاته[٤]، غير أن تفكيره ذاك يقصره على ذاته بحيث يجهل ما سواه، لأنه يؤدي إلى تعقل أشياء أقل منه، وهو نقص ينزه أرسطو إلهه عنه[٥].

أما عن تحريكه للعالم فإنه يتم عن طريق العشق، لا بحركة فيزيقية مادية، فالإله هو المعشوق الأول، والأشياء عندما تتشوق إليه وتعشقه تحدث فيها الحركة[٦]، فيحرك السماء الأولى بوصفه غاية لها ومعشوقـاً، وبتحريكه لها تتحرك الأفلاك الأخرى المتصلة بها[٧].

---

(١) انظر: الفلاسفة الإغريق من طاليس إلى أرسطو، و.ك.س.جثري، ترجمة: رأفت حليم سيف، مراجعة إمام عبد الفتاح إمام، بدون، ص١٥٠.

(٢) انظر: أرسطو عند العرب، عبدالرحمن بدوي، ص٦.

(٣) انظر: قصة الفلسفة اليونانية، أحمد أمين، زكي نجيب محمود، دار الكتب المصرية، ط٢، ١٩٣٥م، ص٢٣٢.

(٤) انظر: الفلسفة الإغريقية، محمد غلاب، ط١، القاهرة، ١٩٣٨م، ٢/ ٨٧.

(٥) انظر: الفلسفة الإغريقية، محمد غلاب، ٢/ ٨٨، و: قصة الفلسفة اليونانية، أحمد أمين، زكي نجيب محمود، ص٢٣٢.

(٦) انظر: أرسطو عند العرب، عبدالرحمن بدوي، ص١٧٧.

(٧) انظر: الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها، أميرة حلمي مطر، دار قباء بالقاهرة، ١٩٩٨م، ص٢٨٧.

ومن هنا نستنتج: أن إله أرسطو ليس خالقًا للعالم- فالمادة الأولى قديمة-، وهو ليس على علم به أو صلة أو تدبير له، وهو ليس علة فاعلية، وإنما هو علة صورية تشتاق إليها الهيولى، وشوقها هذا مصدر حركتها، فهو يحرك بوصفه موضوع رغبة فقط[١]، لا علاقة معلول بعلة.

فالكائنات هي التي تتحرك شوقا إليه من غير أن يلتفت إليها أو يتعقلها أو يعلم عنها شيئا، وقد قال أرسطو في هذا: "يخطئ من يظن أنه يمكن أن تكون هناك صداقة مع الله"[٢].

وعليه: فأرسطو جرد إلهه من أي دور في تدبير العالم، **لأنه لا يعقل إلا ذاته**، ولا يلتفت إلى ما سواه، بل ويجهله، فلا يكون هذا المحرك الأرسطي -إذن- موضوع عبادة يتوجه إليه بالدعاء والصلوات...

٢ - موقف أبيقور من التدبير الإلهي:

إن تصور **أبيقور** (ت: ٢٧٠ق.م) للإله يلتقي - في بعض جوانبه - مع إله أرسطو الذي لا يفكر إلا بذاته.

فالآلهة عند أبيقور متعددة كثيرة، وهي كائنات خالدة وسعيدة، تعيش في عالم مستقل عن عالم البشر، ولا تنشغل بهذا العالم البتة، ولا شأن لها بأمور الحياة العامة، تتمتع بالهدوء التام، وتتذوق اللذات العقلية الأبدية، دون أن تشغل نفسها بتدبير شؤون الكون أو البشر[٣].

---

(١) انظر: الفلاسفة الإغريق من طاليس إلى أرسطو، و.ك.س. جثري، ص١٥٢.

(٢) انظر: تاريخ الفلسفة، فريدريك كوبلستون، ترجمة: إمام عبد الفتاح إمام، المركز القومي للترجمة بالقاهرة، ١/ ٤٢٧.

(٣) انظر: قصة الفلسفة اليونانية، أحمد أمين، زكي نجيب محمود، ص٣٠١، و: الفلسفة الإغريقية، د.محمد غلاب، ٢/ ٢٠٢.

إذ يرى أبيقور أن القول باعتناء الآلهة بكل صغيرة وكبيرة مما يدور في عالمنا فيه قضاء على سعادتها، وهذا ما لا يصح مع كمالها إذ "من الغفل الاعتقاد بأن الآلهة ترسل الرياح والزوابع، وتثير الفيضانات والكوارث الطبيعية انتقاماً من البشر، فالجهل والحمق هما السبب في جعل البشر يفزعون من تلك الأحداث الطبيعية، معتبرين إياها نذيرا من الآلهة"(١)، لذلك هاجم أبيقور التصور الشائع للآلهة في عصره الذي ينسب لها أشكال متنوعة من التدخل الإلهي في حوادث العالم، إذ تتحكم في رقاب البشر ومصيرهم، لو قصروا في عبادتها وإرضائها، وتقديم القرابين، والتوسل إليها لتمن عليهم بالنجاة(٢).

وهكذا: فالتدبير الإلهي عند أبيقور وهم من الأوهام، لا يتفق مع مقام الألوهية.

وكيف يكون هناك مثل هذا التدبير الإلهي، والشرور في العالم أكثر من الخيرات؟ وكذا فإن مصير الخيرِّ قد يكون أحياناً أسوأ من مصير الشرير، وأين هو ومعظم أجزاء العالم لا تصلح سكنى للبشر؟ وليس الإنسان في هذا العالم سوى حيوان أعزل لا حول له ولا قوة، ولو وجد هذا التدبير لكان الإله متأثراً بكل ما يتأثر به البشر من جهة ما يصيبهم من خير أو شر، وإذا كان ذلك كذلك فسيكون عرضة للآلام والشرور، فتحدث فيه تغيراً على نحو لا ينقطع، وهذا يتنافى مع ما ينبغي أن يكون عليه من ديمومة وثبات وسعادة(٣).

وعليه: فالأبيقوريون استعظموا أن تتدخل الآلهة في شؤون العالم؛ لأنهم وجدوا في ذلك قضاء على سعادتها وراحتها الكاملة، لما يلحقها من تعب ومشقة.

---

(١) الحرية في الفكر الفلسفي اليوناني، د محمود السيد مراد، دار الوفاء بالإسكندرية، ط١، ١٩٩٩م، ص٤٠٠.

(٢) انظر: الحرية في الفكر الفلسفي اليوناني، د محمود مراد، ص ٣٩٥، ٣٩٩.

(٣) انظر: خريف الفكر اليوناني، عبدالرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصرية، ط٤، ١٩٧٠م، ص٥٨.

وبناء على ذلك: فقد ظهرت تصورات جديدة حول الإله وعلاقته بالكون في عصر النهضة، تتداخل وتلتقي وتتشابك مع التصور الربوبي للإله في بعض الجوانب؛ من هذه التصورات:

١ - تصور الاتجاه العقلي الفلسفي:

فقد حاول الفلاسفة العقليون تأسيس الميتافيزيقا على أسس عقلية مجردة؛ فديكارت (ت: ١٦٥٠م) -كما يقول باسكال- كان مستعداً للاستغناء عن الإله لولا حاجته إليه، لكي يعطي نقرة تحريك العالم، ثم لاحاجة بعد ذلك لتدخل الإله في شؤون الكون والطبيعة، ولولا ذلك لما اعترف به[(١)]، وهذا آت من أن ديكارت يعتبر الإله هو الأساس اليقيني في إثبات وجود الإنسان وفي معرفة الطبيعة وإقامة العلم الطبيعي، فإنكار الإله يستوجب انهيار كل البناء الديكارتي في المعرفة[(٢)] وعدم إمكانية التحقق من شيء البتة[(٣)].

وكذلك **سبينوزا** (ت: ١٦٧٧م) فقد قال: بأننا لسنا ملزمين بالإيمان بالأنبياء إلا فيما يتعلق بغاية الوحي وجوهره[(٤)]، وغاية الوحي عنده هي محبة الله ﷻ بصدق وإخلاص، ومحبة الناس، وفعل

---

(١) انظر: الفكر الأوربي الحديث، فرانكلين ل. باومر، ترجمة أحمد حمدى محمود، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٧م، ص٨٨، و: الله في الفلسفة الحديثة، جميس كولينز، ص٩٢.

(٢) انظر: العلمانية النشأة والأثر فى الشرق والغرب، زكريا فايد، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ط١، ١٩٨٨م، ص٣٠.

(٣) انظر: تاريخ الفلسفة اليونانية، يوسف كرم، ص٦٧.

(٤) انظر: رسالة في اللاهوت والسياسة، باروخ سبينوزا، ترجمة حسن حنفي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، بدون، ص١٦٨.

الخير[١]، أما من الذي يحدد فعل الخير، وما هي صفات الإله عنده؟ وكيف يؤمن به؟ ... فليس الوحي هو الذي يحدد ذلك، وإنما عقله هو يضع هذه مبادئه وشروطه للإيمان[٢].

كما كان سبينوزا ينكر المعجزات بدعوى أنها تشكك في وجود الإله، ويرى أن نظم الطبيعة وقوانينها، نظم وقوانين إلهية، فنقضها بالمعجزات يعني نقض النظام الإلهي وقوانينه الكونية[٣].

وبذلك فالكتب المقدسة – عنده– ليست مصادر للحقيقة، وليست الأديان إلا أدوات للتنظيم الاجتماعي والأخلاقي[٤]، والشعائر والطقوس ليست إلا خرافات تجميلية للدين تساعد على التحكم في العامة والسيطرة عليهم[٥].

٢– أما الاتجاه التجريبي فكانت نظرته للكون نظرة آلية ميكانيكية، فالكون عندهم يتحرك كجسم كامل حركة ميكانيكية[٦]، والقوانين التي تسيره قوانين حتمية[٧].

---

(١) انظر: رسالة في اللاهوت والسياسة، سبينوزا، ص١٩٥.

(٢) انظر: رسالة في اللاهوت والسياسة، سبينوزا، ص٣٦٠.

(٣) انظر: رسالة في اللاهوت والسياسة، سبينوزا، ص١٤٧.

(٤) انظر: الله في الفلسفة الحديثة، جميس كولينز، ص١٠٢.

(٥) انظر: رسالة في اللاهوت والسياسة، باروخ سبينوزا، ص١١٣.

(٦) انظر: تاريخ الفلسفة الغربية، براترند رسل، ترجمة د. محمد فتحي الشنيطى الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٧م، ص٦٣.

(٧) **الحتمية**: تعني أنه إذا توافرت الشروط والأسباب تحتم وقوع النتائج، وبناء على ذلك يكتفي العالم بنفسه، ولا حاجة به إلى علة أخرى. انظر: العلم والدين في الفلسفة المعاصرة، إميل بوترو ترجمة أحمد فؤاد الأهواني، الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة: ١٩٧٣م، ص٤.

=

"فهي خاضعة لقوانين واحدة ثابتة منتظمة صارمة مطردة وآلية، وقوانين رياضية عامة واضحة حتمية لا يمكن تعديلها، أو التدخل فيها، وهي قوانين كامنة فيها" انظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، د.عبد الوهاب المسيري، ١/ ٧٠، و: الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، عبد الوهاب المسيري، ص ١٦.

وفي ضوء ذلك فإن الحتمية في القوانين المادية تعني أن لكل ظاهرة طبيعية علة طبيعية توجب وقوعها، ولكل علة معلوم ينشأ عنها؛ لأن كل ما يقع في الكون من أحداث هو نتيجة ضرورية تترتب على ما سبق من أحداث، حيث صوروا العالم بأنه عبارة عن مجموعة عضوية مترابطة، ودائرة مقفلة يتصل بعضها ببعض اتصالا عليًّا بحتًا. بل إنهم يذهبون إلى أن هذه الحتمية تفرض نفسها على عالمنا الأرضي، وعلى الأكوان الأخرى وهي تفرض نفسها كذلك على مادة هذه المنضدة التي نجلس عليها، وعلى ظواهر الحياة والعقل كافة. انظر: الفكر المعاصر في ضوء العقيدة الإسلامية، د.يحيى هاشم فرغل ص ١٤٣، و: الإسلام والاتجاهات العلمية المعاصرة، يحيى هاشم فرغل، ص ٨٧،

وزعموا "أن حتمية القوانين الطبيعة من ناحية، وقوانين التطور التقدمي من ناحية أخرى يمكن الاستغناء بهما عن افتراض وجود الله وعلمه، وإرادته، كتفسير لوجود العالم، وحركته وتغيره" الفكر المعاصر في ضوء العقيدة الإسلامية، د.يحيى هاشم فرغل ص ١٠٤.

كما زعموا أن العالم يتحرك بنفسه حركة آلية ميكانيكية، من غير علم، ولا إرادة، ولا شعور. انظر: الشيخ مصطفى صبري وموقفه من الفكر الوافد مفرح بن سليمان القوسي، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٩٩٧م، ص ٣٢٦.

ترتبط هذه الأطروحة بفيزياء "نيوتن" الذي شبّه الكون بالساعة في الدقة والآلية، وقد أثبت العلم الحديث بالبرهان أن الظواهر المتناهية في الصغر لا تخضع لمبدأ الحتمية، وعليه فالحتميات الفيزيائية لم يعد لها وجود واقعي اليوم، أو بمعنى أدق ظهرت رؤى أوسع لعالم تحكمه احتمالات لا متناهية؛ مثل: نظرية النسبية، والكوانتم، ونظرية تأثير الفراشة... وهنا تظهر قيومية الله ﷻ في كل لحظة.

أدى كل ذلك إلى تغير نظرة الغربيين إلى الكون وسيطرة النظرة الآلية الميكانيكية عليهم، وكان المثال المفضل لديهم هو تمثيل الكون بالساعة[١]، حيث يرون "إن الكون أشبه بساعة نادرة كتلك الموضوعة في ستراسبورغ حيث صُنع كل شيء بمهارة، وعندما تشغل الماكينة تحدث معها حركة تعقبها كل الحركات المتوافقة مع تصميم المخترع"[٢]، وعليه: فوظيفة الإله في الكون "الساعة" تنحصر فقط في إدارة تلك الساعة في البدء[٣]، فالكواكب تبعا لنيوتن خلقها الإله، ولكن بعد أن أصدر قانون الجاذبية سار كل شيء بذاته بغير حاجة إلى مزيد من التدخل الإلهي[٤].

وهكذا تحول الإله – بنظر فلاسفة عصر النهضة– إلى ساعاتي رفيع المقام، فهو إله مستريح ساكن غائب عن العمل، عندما تصوروا الكون على أنه ميكانيكي يعمل كالساعة المحشوة بالمعلومات[٥].

وبذلك أبعدوا الإله عن العالم وجعلوه لا يتدخل في شؤونه، لأن قوانين الطبيعة والكون أصبحت حتمية[٦]، وبالتالي لم تعد للإله أهمية في حياتهم، لأنه لم يعد له عمل[١].

---

(١) انظر: الله في الفلسفة الحديثة، جميس كولينز ص ٨٤، و: آفاق العلم، ج.و.ن سلفان، ترجمة محمد بدران، عبد الحميد حمدي مرسي، المطبعة الأميرية بالقاهرة، ١٩٤٦م، ص٤٠.

(٢) انظر: الفكر الأوربي الحديث، فرانكلين ل. باومر، ص59.

(٣) انظر: تكوين العقل الحديث، جون هرمان راندال، ترجمة جورج طعمه، دار الثقافة بيروت، ط2، 1965م، ص451.

(٤) انظر: تاريخ الفلسفة الغربية، براترند رسل، ص٧٤.

(٥) انظر: الفكر الأوربي الحديث، فرانكلين ل. باومر، ص ٨٧.

(٦) انظر: الدين والعقل الحديث، د.ولتر ستيس، ترجمة د.إمام عبد الفتاح إمام، مكتبة مدبولي، ط١، ١٩٩٨م، ص١٠٦.

وبناء على ما تقدم يتبين لنا: أن التيار الربوبي كان جزء لا يتجزأ من حركة الفكر في عصر النهضة الأوربية، وقد استقر لديهم أن الكون يحكمه القوانين الفزيائية التي وضعها الخالق في الكون وفق نظام ميكانيكي داخلي، مستغنٍ بها عن تدبيره الإلهي وتدخله في شؤون الكون.

---

(١) انظر: الدين والعقل الحديث، د.ولتر ستيس، ص ١١١.

الفصل الثالث: نقد تصور التيار الربوبي للتدبير الإلهي.

سبق وأن ذكرنا أن التدبير من خواص الألوهية، وأن التدبير الكوني: يتعلق بما يظهر من أفعاله تعالى التي يتجلى فيها لطفه بالكون، واهتمامه الدائم بمخلوقاته وعنايته بهم.

وبعبارة أخرى: التدبير الكوني أو "تدبير العالم" يشمل تدبير الأمور لكل الموجودات، وتلبية احتياجاتها.

أما التدبير التشريعي: فيتعلق **بتفرده** تعالى بالتشريع **ويدخل فيه** إنزال الوحي، وبعثة الرسل، وتكليف العباد، وإنزال الكتب السماوية، ووضع الأحكام والتشريعات والقوانين، وكذا توجيه الأفراد لتنظيم حياتهم لما فيه خيرهم وصلاحهم.

ولما كان التيار الربوبي **يؤمن** بوجود خالق لهذا الكون، مع إنكاره لتدبيره الكوني والتشريعي.

ومعنى إنكارهم التدبير الكوني: أن الإله خلق الكون ووضع قوانينه الثابتة، ثم تركه يعمل بآليته الخاصة، بلا تدبير له فيه، وكل الحوادث في الكون هي أسباب طبيعية.

أما إنكارهم للتدبير التشريعي فمعناه: أنهم ينكرون الوحي، وبعثة الرسل، ويرون: أن البشر لا يمكن أن يعرفوا الله إلا عن طريق العقل ومراقبة الطبيعة.

ومن الجدير بالذكر أن: العلاقة بين الخالقية والتدبير الإلهي علاقة **تلازم**، ولا انفكاك بين الخلق والتدبير، فالخالق لكل شيء يستتبع تدبير شؤون خلقه، " وتدبير وإدارة شؤون موجود ما لا يُمكن فصلها عن خلقه، وخلق سائر المخلوقات الذين يحتاج إليهم، **فمثلًا** إعطاء الرزق للإنسان ليس أمرًا منفصلًا عن خلق الجهاز الهضمي له، وخلق المواد التي تؤكل في بيئته"[(١)].

---

(١) المنهج الجديد في تعليم الفلسفة، محمد تقي مصباح اليزدي، ترجمة: محمد عبد المنعم الخاقاني، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ١٩٩٠م، ٢/ ٣٨٥.

وعليه: فالتدبير غير خارج عن الخلق بل هو خلق بوجه، كما أن الخلق تدبير بوجه وعند ذلك يتم الاحتجاج على رجوع التدبير إليه تعالى وانحصاره فيه برجوع الخلق إليه[١]، ولا خالق إلا الله سبحانه.

فالخلق ليس عملية الإيجاد فقط، وإنما هو الاستمرار في الإيجاد، وتدبير الموجود.

أما التيار الربوبي فقد خالف ذلك، **وسلم للإله بالخلق، وأنكر تدبيره**، كما **سلم للإله بالخلق، ورفض طاعته وعبادته**، وذلك للتحلل من كل الالتزامات الدينية التي يمارسها المؤمنون من الصلاة والذكر والدعاء...، ، بدعوى أنها مجرد طقوس لا تنفع الإله شيئا، مع أنه لا انفكاك بين الربوبية والألوهية، فهما متلازمان، لا ينفصلان.

وفي هذا الفصل سنتناول بالدراسة والنقد إنكار التيار الربوبي للتدبير الكوني، والتدبير التشريعي.

---

(١) انظر: الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين، ١٧/ ١٢١.

المبحث الأول: إنكار التيار الربوبي للتدبير الكوني والرد عليهم.

تقوم شبهة التيار الربوبي على الإيمان العقلي بوجود خالق لهذا الكون، لا يدبر أمره، ولا يتدخل في شؤونه، وما يجري في الكون من حوادث لا علاقة له بها، فهي لا تجري وفق إرادته وتقديره، بل وفق القوانين الكونية الطبيعية التي أودعها فيه(١).

فالخالق عندهم أشبه بالساعاتي الذي يصنع الساعة، ويدير محركها، ويشحنها بالطاقة، ثم يتركها تسير نفسها بنفسها، وفق قوانينها، دون أن يتدخل بها لاحقًا، بلا مراقبة لما قد يعترض طريقها بعد ذلك.

والكون عندهم أيضًا بحاجة إلى صانعٍ في صنعه وفي بداية عمله فقط، وسوف يستمر في عمله ولا يحتاج إلى تدبير أو تدخُّلٍ متواصل ومستمر من قِبَل صانعه.

وقبل الرد على هذه الشبهة لعله من المناسب أن نقول: إن الكون محتاج لا يستغن عن مدبره سواء في وجوده، وفي استمرار وجوده، بل كل شؤونه مرتبطة بموجده، وقد فصل المفكرون في معالجة هذه النقطة:

فبعضهم سلك طريق الامكان، واستدل على أن العالم ممكن؛ والممكن يستوي طرفاه وجودًا وعدما، وهو يحتاج دائما إلى من يرجح وجوده على عدمه، فذات الممكن وحدها ليست كافية في تحقق وجوده أو عدمه، فكل منهما بالنسبة لذاته على السواء، فإن تحقق الوجود أو العدم أو البقاء

---

(١) انظر: تاريخ الفكر الأوروبي الحديث، رونالد سترومبرج، ١/ ١٨٤، و: تاريخ الفلسفة الحديثة، وليم كلي رايت ص٢٢٠، موسوعة الفلسفة، د.عبد الرحمن بدوي، ٢/ ٢٠٦، و: تاريخ الفلسفة اليونانية، يوسف كرم، ص١٥٥، و: الإلحاد في الغرب، رمسيس عوض، ص١٤٥، ١٥١.

بعد الوجود، كان بسبب **ترجيح مدبر من خارجه**، لأن الاحتياج من لوازم ذاته، التي لا تقتضى الوجود بذاتها.

وآخرون سلكوا طريق الحدوث، ويرون أن العالم حادث موجود بعدم؛ والحادث يشتمل على أعراض حادثة، والأعراض توجد وتتجدد في كل لحظة، ولا تبقى زمانين، فتحتاج دائما إلى من يُحدثها ويخرجها من العدم دائما، ويمدها بأسباب الحياة كل لحظة.

وعلى كلا الرأيين: فالعالم **يحتاج** ويفتقر دائما إلى مدبره، **سواء في وجوده، أو في بقاءه واستمرار وجوده،** لأن علة الاحتياج هي الامكان وحده أو الحدوث وحده، أو الامكان مع الحدوث شطرًا أو شرطًا[(١)]، فالإله ليس منعزلًا عن الخلق والإيجاد والتدبير في أي حال من الأحوال.

وحين نلاحظ هذه العلاقة بين الكون ومدبره، يتجلى لنا لطف الله ﷻ بالكون، واهتمامه الدائم بمخلوقاته وعنايته بهم، فهو المحيي والمميت، والرازق والهادي والحافظ....

وهو الذي له المُلك والمِلك، والمالك يدبر ملكه بما شاء بحكمته، سبحانه عما يقولون علوا كبيرا.

أما التيار الربوبي فالسبب في إنكارهم للتدبير الإلهي هو تصورهم الفاسد للإله، ولصفاته، وللعلاقة بين الخالق والمخلوق، وللعلاقة ببين الخالقية والتدبير الإلهي.

ويلاحظ على هذا تصور التيار الربوبي للإله أنه تصور ناقص وساذج، ويعاني الكثير من الإشكالات:

- أما قول الربوبي: " إن الإله **لا يدبر أمر الكون ولا يتدخل** فيه".

---

(١) راجع: الأربعين في أصول الدين، للرازي، تحقيق أحمد حجازى السقا، ط الكليات الأزهرية، ط ١٩٨٦م، ١٠١/١، و: شرح المواقف ومعه حاشيتا السيالكوتي والحلبي على شرح المواقف، الشريف الجرجاني، تحقيق محمود عمر الدمياطي، دار الكتب العلمية، ٢٠١٢م، ٥/٤، شرح المقاصد، التفتازاني، ١/ ٤٩٠.

فلنا أن نتسائل: هل **عدم تدخل** الإله في الكون **لعدم قدرته على التدخل**، فهذا يعني أنه إله **عاجز**، ومن كان كذلك لا يستحق أن يكون إلهاً، فالإله الحق لا يتصور فيه أي نقص، كيف لإله أن تكون له القدرة على إيجاد هذا الكون البديع كما يقول أحدهم:

"عندما نتفحص الخلق، الثورات في النظام الكوكبي، والاقتصاد الكامل المسمى بالطبيعة، والقوانين التي الخالق وصفها للمادة، نحن نرى انسجاما في كل أجزاء العالم، فلا جزء يناقض الآخر. الشمس لا تعمل ضد القمر، والقمر لا يعمل ضد الشمس، والكواكب لا تعمل ضد بعضها، كل شيء له زمانه ووقته المعينين. هذا الانسجام في عمل الإله واضح جدا، ... إن الإله يظهر في كل جزء من الكون"[١].

ولنا أن نتسائل: كيف لإله أن تكون له القدرة على إيجاد هذا الكون البديع ثم لا تكون له القدرة على التدبير والتدخل والتصرّف في شؤونه؟! ، إن هذا لأمر متناقض.

وإن كان عدم التدخل الإله في الكون باختياره بالرغم من قدرته على ذلك، فلنا أن نسأل: منْ أخبر الربوبي الذين لا يؤمن بالوحي بهذا؟ ، فالعقل لا يستطيع التنبؤ بمثل هذا الأمر، لأن هذا الأمر لا يُعرف إلا من قبل الإله دون سواه، وهم لا يؤمنون بأن ثمّة وسيلة تواصل مباشر بين الإله وبين الناس أصلاً.

---

(١) انظر: مقال بعنوان الربوبية تعارض الديانات السماوية، صامويل، مدونة الربوبي العربي: الرب أعطانا عقلا لا دينا، منشور بتاريخ ٢٧ يونيو ٢٠٠٩م

http: //arabicdeist.blogspot.com/.

- إن تصور التيار الربوبي للإله يفترض الإله إله غائبا لا دخل له بالكون، إذ تركه يعمل بلا مراقبة أو استخدام الحكمة في إدارة شؤونه، وهذا ما جعل توماس كارليل يقول: " إله الربوبيين إله غائب، يقعد بلا عمل منذ السبت الأول خارج أطراف كونه، ليراه يعمل"(١).

وأيّ تصوّر يفترض إمكان غياب الإله عن خلقه هو تصور ينبئ عن جهل صاحبه بالخالق، قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾(٢)، وهذا ما يفسر لنا تأكيد القرآن على أنّ الكون قائم بتدبير الله تعالى ولا يقدر على دوامه وإبقائه إلا هو، قال سبحانه: ﴿إِنَّ اللهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَن تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾(٣).

- كما أن تصورهم للإله يظهره **أنه إله عاجز عن التصرف في العالم**، وإلا فكيف يسكت عن من ادعو أنهم رسله وحملوا للناس شرائع نسبوها له، أليس من الحكمة أن يبين للناس أنه لا يوجد له ممثل ولا رسول؟

- كما أنه ليس من الواضح ما إذا كان هذا الإله الذي يؤمن به الربوبي **عالمـًا** بما يفعله خلقه، وما يقومون به من أعمال الخير أو الشر، وإذا كان يعلم فلا يُدرى ما هو موقفه من ذلك؟ هل هو راض بذلك أو رافض له؟ وإذا كان رافضـًا وغير راض بأفعال الشر فماذا يترتب على رفضه وعدم رضاه؟(٤).

---

(١) انظر: العودة إلى الإيمان، هيثم طلعت، مركز براهين للأبحاث والدراسات، دار الكاتب، الإسماعيلية، مصر، ط١، ٢٠١٤م، ص٣٤.

(٢) سورة الزمر، الآية: ٦٧.

(٣) سورة فاطر، الآية: ٤١.

(٤) انظر: عالم دون أنبياء، حسين الخشن، ص ٥٨.

فالفرق بين تصور الربوبي والمؤمن؛ أن الربوبي يفترض في الخالق الخلق وإيداع القوانين ثم ترك الكون بلا تدبير، بينما المؤمن يرى أن الخالق لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض، وما من ورقة تسقط إلا يعلمها - سبحانه-، وأنه يُقلب الليل والنهار، يجيب دعوة المضطر ويكشف السوء، وما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها...[١].

- كما أن تصورهم **للإله يظهره أنه إله غامض** -لم يُظْهِرْ نفسه بما فيه الكفاية للناس- ولا يمكن لصاحب الفكر السوي أن يقنع به أو يتقبله، وإلا فأي إله هذا الذي لا يفصح عن هويته وعن الهدف الذي خلق الخلق من أجله؟! أليس مقتضى اللطف والحكمة أن يرشد خلقه ويوجههم إلى الهدف من خلقهم؟ وما هو مطلوب منهم، وما هو الحجة عليهم؟![٢].

- كما أن التيار الربوبي لم يبين الحكمة والهدف من خلق الإله لهذا العالم، فهم يفترضون أنه خلقه دون سبب أو غاية! ، وهذا عبث لا يليق بالإله، لأن "أفعاله منزهة عن أن تكون موصوفة بكونها عبثا ولعبا وباطلا...، وإن أفعال الله كلها حكمة وصواب، لأنه تعالى لا يتصرف إلا في مُلكه ومِلكه، فكان حكمه صوابا على الإطلاق"[٣].

قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ* فَتَعَالَى اللهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾[٤]، وقال: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾[٥].

---

(١) انظر: العودة إلى الإيمان، هيثم طلعت، ص٣٣.

(٢) انظر: عالم دون أنبياء، حسين الخشن، ص ٥٨.

(٣) التفسير الكبير، للإمام الرازي، ٩/ ١٤٠.

(٤) سورة المؤمنون، الآية: ١١٥، ١١٦.

(٥) سورة ص، الآية: ٢٧.

– كما أن وحدة النظام في الكون وتلاؤمه وانسجامه لا يمكن أن تتحقَّق إلا إذا كان المدبر واحدًا؛ وذلك لما في هذا الكون من التدبير والانسجام بين أجزائه، فلو تعدد المدبِّر لاستلزم بالضرورة اختلافهما في التدبر والإرادة، وذلك ينافي الانسجام والتلاؤم بين أجزاء الكون.

– أما المثال المفضل لديهم وهو تشبيه الكون بالساعة، فالخالق في نظرهم كالساعاتي الذي أدار عقارب الساعة ثم تركها لتعمل وحدها دون أن يتدخل بها، ويدعها تسير بنفسها، ومن ثم فهي تصلح ذاتها على الدوام، وهذا باطل: لأن الساعة لا يمكن أن تصلح ذاتها إن تعطلت، أو نفذت طاقتها، فغاية عملها: السير وفق النظام الذي صنعت فيه مالم يعرض لها ما يعيقها، فإن عرض لها ذلك فإن صلاحها متوقف على غيرها، وهذا الأمر متحقق في خلق الله، فإنه خلق الكون وفق نظام وقوانين يسير عليها، وهو كذلك تحت عناية الخالق له ورعايته، وهو الذي يصلح أمره إذا عطب، ويعيده إذا فني، وكذلك الكائنات الحية، والنباتات، فإنه ينشئها من عدم، وينفخ فيها الروح، ثم تنمو وتتبدل فيها أطوار الخلق تحت أمره وتدبيره.

هذا مع ملاحظة أن عمل الساعة عمل رتيب على وتيرة واحدة، **بخلاف** ذوات النفوس والإرادة التي بإمكانها أن تعمل بصورة غير مشابهة في الظروف والأحوال المشابهة، فإنها محتاجة مفتقرة إلى الإله في كل لحظة، لاستمرار وجودها وعلمها.

– كل هذه الإشكالات لم يقدِّم التيار الربوبي أجوبة مقنعة عليها، الأمر الذي يدفعنا للاعتقاد أن أهم صفات الإله التي يحكم بها العقل، كالقدرة والإرادة والعلم، لا توجد في إله الربوبيين، فأنكروا صفاته وأفعاله، وصاروا كمن يؤمن بالعدم.

مع أن منهجهم يدعي الاستناد للعقل وحده في معرفة الإله، فتصوروا الإله بصورة مزرية يعتريها الضعف والانحراف بدون دليل، فتصورهم للإله تصور ناقص، ساذج، متناقض، يترتب عليه الكثير من الإشكالات مثل أنه إله عاجز، غامض، غائب لا صلة له بالكون، وغير مكترث أو عابئ بخلقه.

ومشكلة استنادهم للعقل وحده دون وحي؛ أن العقل وحده يُجيز كل الممكنات والمحالات على الخالق، وتستوي عنده الفهوم، فقد يجزم بصفة من صفاته في نفس الوقت الذي يمكنه فيه نفيها، فالعقل الذي يجزم هو العقل الذي ينفي، والعقل الذي يؤله هو العقل الذي يوثن.

لذلك: **فالوحي** يصحح تصورات العقل المحدود القدرات، كما أن هناك بعض الصفات الثابته لله ﷻ لا يُتوصل إليها من طريق العقل، بل لابد من الوحي في إثباتها.

ورحم الله شيخ الأزهر السابق" د. عبد الحليم محمود عندما قال: الدين سفينة، والعقل لوح خشب، وقل من نجا بلوح خشب.

وبهذا تبطل فكرة الاعتماد على العقل المجرد دون وحي في معرفة الإله وتحديد صفاته.

- كما أن التيار الربوبي لم يقدِّم إجابات عن الأسئلة الوجودية الكبرى في حياتنا، من قبيل: ما الغاية من وجود الإنسان في هذه الحياة؟ ما مصيره بعد الموت؟ لماذا خلقه الله في هذه الدنيا؟ ... مع أن هذه الأسئلة مهمة لكل عاقل.

المبحث الثاني: إنكار التيار الربوبي للتدبير التشريعي والرد عليهم.

سبق وأن ذكرنا أن التدبير التشريعي من خواص الألوهية، وهو يتعلق **بتفرده** تعالى بالتشريع **ويدخل فيه** إنزال الوحي، وبعثة الرسل، وتكليف العباد، ووضع الأحكام والتشريعات والقوانين، وكذا توجيه الأفراد لتنظيم حياتهم لما فيه خيرهم وصلاحهم.

ولما كان التيار الربوبي يعظم من دور العقل، ويرى أن العقل وحده هو مصدر المعرفة، وأنه الأساس الوحيد لكل يقين، وأنه خليفة الرب في الأرض، **وعليه**: يقررون الاستغناء بالعقل عن الوحي وأنه لم تبق حاجة أو نفع للوحي، طالما أن الإله أعطانا وسائل طبيعية أكثر يقيناً لنتوصل بها إلى المعرفة، ولا يمكن للبشر أن يعرفوا الإله إلا عن طريق العقل ومراقبة الطبيعة، وليس عن طريق الوحي أو المظاهر الخارقة للطبيعة (المعجزات) .

فالربوبيون يزعمون: أن الله خلق الخلق وتركهم هملا، فلم يرسل رسولا ولم ينزل كتابا، وأن البشر قادرون على الوصول إلى الحقيقة وتحقيق السعادة **بعقولهم**، ولا حاجة لهم إلى الوحي[(١)].

فأحدهم يقول في كتابه "تحقيق ما للإلحاد من مقولة": "الإشكالية تكمن أساسا ومبدئيا في مشروعية النبوة ذاتها، أي في إمكانية أن يدعي أحدهم أن الله كلمه أو أوحى إليه أو بعث له ملاكًا يبين له مقاصده، إنها أمور تشق على عقولنا، ولا يمكن أن نصدق بها إلا إذا أخمدنا آخر بصيص من نورها"[(٢)].

---

(١) انظر: عصر العقل، توماس باين، ١/ ٣ وما بعدها، و: تكوين العقل الحديث، جون هرمان راندال، ص٤٤٠، ٤٤٦، و: تاريخ الفلسفة الحديثة، وليم كلي رايت ص٢٢٠، و: الإلحاد في الغرب، رمسيس عوض، ص١٤٥، ١٤٦، و: ظاهرة نقد الدين في الفكر الغربي الحديث، سلطان العميري، ص٢٢٥.

(٢) تحقيق ما للإلحاد من مقولة، محمد المزوغي، منشورات الجمل، بيروت، ط١، ٢٠١٤م، ص١٠٠.

وقبل الرد على هذه الشبهة لعله من المناسب أن نمهد بحديث عن أهمية الدين، والحاجة إلى إرسال الرسل للفرد والمجتمع.

فمما لا شك فيه أن الدين يعتبر - بوجه عام - ضرورة من ضرورات الحياة؛ فهو ضرورة عقلية، وضرورة نفسية، وضرورة روحية، وضرورة اجتماعية، وضرورة سياسية، وضرورة أخلاقية...، فهو ضروري للفرد وللمجتمع، والإنسان يحتاج إليه كما يحتاج إلى الهواء والماء والغذاء، فلن ينعم الإنسان ولن يسعد إلا في ظل الدين، وهو إن وجد طريقه للغذاء المادي فهذا غذاء الجسد، لكن أهم من ذلك غذاء الروح؛ فالإنسان كائن له طبيعة مزدوجة: مادية، وروحية، جمع فيه بين قبضة من طين الأرض ونفخة من روح الله، ولا قوام لأحد الجانبين دون الآخر، فلكل منهما مطالبه وغذاؤه، فلو أشبع الجسد بمطالبه المادية، فلابد أن تبحث الروح عن مطالبها، وهنا تظهر بجلاء حاجة الإنسان إلى الدين فهو غذاء الروح.

فنزعة التدين أصيلة في النفس يحتاج إليها الإنسان ولا يستطيع أن يعيش بمعزل عنها، فسعادة الأفراد، وسعادة المجتمعات في أن يكون لهم دين يتدينون به، ورسل يهدونهم إلى الصراط المستقيم، أما غير هذا فالشقاء والبلاء مصير هذه الأمم وتلك المجتمعات وأولئك الأفراد.

لذا كان من رحمة الله تعالى على عباده أن بعث إليهم النبيين والمرسلين ليبينوا للناس كيف تكون معرفة الله تعالى، وما هي صفاته الواجبة له وما يستحيل عليه وما يجوز في حقه جل شأنه، واضعين بأمر ربهم الحدود الفاصلة بين الصواب والخطأ والكفر والإيمان.

كما أن الرسل هم الذين أرسلهم الله بالشرائع الإلهية ليظهروا للناس ما أراده الله تعالى منهم ومن ثم تتحقق الغاية المنشودة من خلق الخلق قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ

لِيَعْبُدُونِ﴾[١]. كذلك بعث الله الرسل إلى الناس ليبينوا لهم أمور المعاش والمعاد؛ ويخرجونهم من الضلال إلى الهدى ويسود المجتمع الرحمة والعدل والمساواة.

والرسل يبينون للناس أيضًا أحوال الآخرة وما فيها من حساب وثواب وعقاب وجنة ونار ذلك أن العقل البشري وحده لا يمكنه معرفة هذه الحقائق وعقول البشر مهما بلغت فهي قاصرة كل القصور عن معرفة الله تعالى حق معرفته وما يجب له من صفات الجلال والكمال كما أنه لا يمكن أيضًا للعقل البشري أن يقر نوع الأعمال التي يجازي عليها المرء في الدار والآخرة.

ومعلوم أنه لا يستطيع عقل عاقل أن يتصور إمكان سير الإنسان مهتديًا بعقله فحسب على الصراط السوي في العبادة كما أراده الله تعالى منه فيصلي ويصوم ويزكي ويحج بذات الطريقة والكيفية التي علمنا إياها رسل الله صلوات الله عليهم أجمعين.

والله سبحانه وهو الرحيم بعباده لم يشأ أن يترك الناس يتخبطون في ظلمات الجهالة وينغمسون في ملذات الدنيا وينسون ما خلقوا لأجله فمطالب الإنسان لا تنتهي وآماله لا تتوقف عند غاية معنية، وإذا ترك الإنسان وشأنه ركب كل إنسان رأسه وانقاد لغرائزه وأهوائه فتكثر المطامع ويحتد الخلاف وينتشر الفساد وتعم الفوضى ويختل نظام العالم، من أجل هذا كان مجيء الرسل ﷺ إنقاذًا للبشرية وأخذًا بأيدي الناس إلى أقوم طريق بيانًا لشرع الله وتزكية للنفس وتطهيرًا للأرواح وإحياءً للضمائر والهدف من ذلك كله هو الفوز بسعادة الدارين[٢].

---

(١) سورة الذاريات: الآية ٥٦.

(٢) راجع: التوحيد، الماتريدي، تحقيق فتح الله خليف، دار النشر بيروت، ١٩٧٠م، ص١٧٩ وما بعدها، و: شرح المقاصد، التفتازاني، تحقيق عبد الرحمن عميرة، عالم الكتب بيروت، ط٢، ١٩٩٨م، ١٢٨/٢، و: رسالة التوحيد، الشيخ محمد عبده، ضمن الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده، تحقيق د.محمد عمارة، دار الشروق، ط١، ١٩٩٣م، ص٨٦، و: نظرية النبوة في الإسلام، د. طه حبيش، دار الهدى ١٤٠١هـ، ص٥٠.

ولا يتسنى معرفة ذلك كله بالعقل وحده إذ العقول مختلفة ومتفاوتة ولو ترك العنان للعقول وحدها لتخيل الإنسان إلهه كما صوره اليونان في أساطيرهم أو صنعوا حجارة على صورة ما تتخيله عقولهم وجعلوها أوثانًا تعبد من دون الله.

بعد هذا التمهيد نقول: إنه قد وجد على مر التاريخ الإنساني من يعتقد بعدم حاجة الإنسان إلى الدين أصلًا، وينكر الوحي والنبوة والمعجزة، وقد نسب ذلك إلى البراهمة[1]، وتابعهم في ذلك التيار الربوبي.

---

(١) يرى بعض العلماء الذين تعرضوا لدراسة البراهمة أنهم يثبتون الصانع وينكرون النبوات.

راجع: التمهيد في الرد على الملحدة والمعطلة والرافضة والخوارج والمعتزلة، القاضي الباقلاني، تحقيق محمود الخضري ومحمد عبد الهادي أبو ريدة، القاهرة ١٩٤٧م، ص٩٦، و: المغني في أبواب التوحيد والعدل، القاضي عبدالجبار، تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف د.طه حسين، الدار المصرية للتأليف والنشر، ١٩٦٥م، ١٥/ ٥٠، و: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ودار الكتب العلمية، ط٢، ١٩٨٠م، ٦٩/١، و: الملل والنحل، الشهرستاني، تحقيق سيد كيلاني، دار مصعب بيروت، ط١، ١٩٨٦م، ٢/ ٢٥١-٢٥٢، و: تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، البيروني، حيدر أباد الدكن، الهند ١٩٥٨م ص٨١.

أما هل أنكر كل البراهمة النبوة أم بعضهم فقط:

- فمن العلماء من وضعهم في سلة واحدة ولم يستثن أحداً منهم من إنكار النبوة، انظر: الفصل، ابن حزم، ٦٩/١، و: الملل والنحل، الشهرستاني ٢ /٢٥١-٢٥٢.
- ونجد الباقلاني يقسم البراهمة إلى فريقين: فريق يجحد الرسل أصلا، وفريق آخر قالوا: بنبوة إبراهيم عليه السلام وإنكار نبوة من سواه. انظر: التمهيد، الباقلاني، ص٩٦، و: غاية المرام في علم الكلام، الآمدى، تحقيق د.حسن الشافعي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٣٩١هـ، ص٣١٨، و: أبكار الأفكار في أصول الدين،

=

– وقد استند الربوبيون – مثل البراهمة – إلى الاكتفاء بالعقل والاستغناء به عن الوحي والبعثة.

وإذا كان البراهمة قد فصلوا القول في استدلالهم على دعواهم في إنكار النبوة فإن أنصار التيار الربوبي اكتفوا بالأقوال المرسلة.

وبناء على هذا: فإن المتكلمين ردوا على الشبهة التي أثارها البراهمة قديمًا وتابعهم عليها الربوبيون حول الحاجة إلى النبي.

وقد استندوا إلى أنه: إما أن يبعث الله الأنبياء بما يوافق العقل أو بما يخالفه؛ فإن بُعثوا بما يوافق العقل كان فيه استغناء عن بعثهم فلا فائدة منها، وإن بُعثوا بما يخالف العقل وجب رده، كما لو بُعثوا بحسن الظلم وقبح العدل(١).

أو بعبارة أخرى: "أن الذي يأتي به الرسول لا يخلو من أحد أمرين: إما أن يكون معقولاً، وإما أن لا يكون معقولاً.. فإن كان معقولاً، فقد كفانا العقل التام بإدراكه والوصول إليه، فأي حاجة لنا

الآمدى، تحقيق د. أحمد المهدي، مطبعة الكتب والوثائق القومية بالقاهرة، ط٣، ٢٠٠٧م، ٢/ ٦٧٣، و: التمهيد فى شرح معالم العدل والتوحيد، يحيى بن حمزة، ٢/ ٤١١، و: المختصر الكلامي، ابن عرفة الورغمي ص٩٣٣.

ولعل الاختلاف راجع إلى أن العلماء المسلمين لم يكن لديهم المعلومات الكافية عن البراهمية حيث إنها ديانة مغلقة لا تسمح للدارسين بدراستها، كما أن البراهمة ينظرون إلى لغتهم على أنها لغة مقدسة محظور تعلمها على الغير، انظر: تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، البيروني، ص١٥.

(١) انظر: التمهيد، الباقلاني، ص١٠٧، و: المغني في أبواب التوحيد والعدل، القاضي عبدالجبار ١١٠/١٥، و: الفصل، ابن حزم، ١/ ٧٠، و: الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، الجويني، تحقيق محمد يوسف موسى وعلي عبد المنعم، الخانجي مصر، ١٩٥٠م، ص٣٠٣، و: الملل والنحل، الشهرستاني، ٢/ ٢٥١، و: غاية المرام، الآمدي ص٣٢٥، و: مناهج اليقين في أصول الدين، ابن المطهر الحلي، تحقيق محمد رضا الأنصاري القمي، مطبعة ياران بطهران، ط١، ١٤١٦هـ، ص٢٦٥، و: شرح المقاصد، التفتازاني، ٣/ ٢٧٠.

إلى الرسول. وإن لم يكن معقولاً، فلا يكون مقبولاً. إذ قبول ما ليس بمعقول، خروج عن حد الإنسانية ودخول في حرم البهيمية"[١].

والجواب على هذه الشبهة من ثلاثة جوانب:

الجانب الأول: أن حصر ما يأتي به الرسول بموافق العقول ومخالفها، **حصر غير حاصر**، ذلك أن هنالك شقًا ثالثًا وهو إتيانهم بما لا يصل إليه العقل بالطاقات الميسورة له، فعقل الإنسان وتفكره قاصر عن نيل الكثير من المسائل.

الجانب الثاني: يجاب أيضًا: **بمنع** قولهم – في القسم الأول من الشبهة – إنه لا فائدة في ابتعاث الرسل لأن العقل يتوصل إلى ما سيأتون به.

وذلك لأن في بعثة الأنبياء فوائد كثيرة تجل عن الحصر.

كما أن العقول البشرية تختلف اختلافًا بيّنًا في ادراك الحقيقة، فقد يستحسن عقل ما لا يستحسنه عقل آخر، ويستقبح عقل ما لا يستقبحه عقل آخر، وأي عقل سيسلمون بحكمه إذا كانت **العقول متفاوتة** في الأحكام والآراء؟!

يقول الماوردي: " إن قضايا العقول قد تختلف فيما تكافأت فيه أدلتها، فانحسم ببعثة الرسل اختلافها "[٢].

وتفاوت العقول ليس لتفاوت الأفهام والقدرات والملكات فقط، بل إن عقل الفرد نفسه يتغير ويتقلب من وقت لآخر في الحكم على الأشياء.

---

(١) الملل والنحل، الشهرستاني، ٢/ ٢٥١.

(٢) أعلام النبوة، للماوردي، دار الهلال – بيروت ط١، ١٤٠٩هـ، ص٣٦.

هذا فضلًا عن أن تنظيم معايش الناس – على نحو يحقق العدالة التامة – أعقد من أن يحسنه البشر أو تستقل به عقولهم، ولهذا قال قول الماوردي: " فلم يوجد عن بعثة الرسل معدل، ولا منهم في انتظام الحق بدل"(١).

وعليه: يبطل زعم التيار الربوبي: أن العقل كافٍ في تحديد صفات الإله ولتحقيق مراد الله من خلقه...وغيرها من الأمور، لكونهم وقعوا بذلك في إشكالٍ كبير، فالعقول متفاوتة، ولا إجابة إلا ببعثة الرسل فهي التي تحسم الخلاف بين العقول.

أما الإمام الجوينى فقد سلك طريقًا آخر فقد سلم لهم جدلا حكم العقل فى حسن ما حسنوه، وقبح ما قبحوه، ثم ذكر أن العقل إذا كان يتوصل إلى ما جاء به الرسول فما المانع من اعتبار ما جاء به النبى ما هو إلا تأكيد لما أتى به العقل، يقول الجويني: " لا يمتنع تأكيد العقول لما جاء به الرسول، وهذا بمنزلة قيام أدلة عقلية على مدلول واحد، وإن كان الاكتفاء يقع بدلالة واحدة، فلا نجعل ما عداها عبثا، ثم لا يمتنع أن يقع في معلوم الله تعالى أن الرسول إذا ابتعث كان في ابتعاثه لطفًا في الأحكام العقلية وينتدب العقلاء لها عند إرسال الرسول، فإذا لم يمتنع ما قلناه بطل ادعاؤهم بخلو الابتعاث عن غرض"(٢).

وهذا من باب تأكيد أمر واحد بدليلين وهو أمر جائز، لأننا نجد المعلوم المعقول تدل عليه أدلة كثيرة، فكأن المخالف يريد أن يقول: إذا استقل دليل واحد فى تحصيل العلم بالمدلول، كان ما سواه من الأدلة عبثا، ولما لم يصح ذلك من قولهم، علمنا أن تأكيد المعلوم العقلي بالشرائع ليس عبثا.

---

(١) أعلام النبوة، للماوردي، ص٣٥.

(٢) الإرشاد، الجوينى، ص٣٠٣.

ورد الإمام الجويني عليهم مع التسليم الجدلي لهم بقضية الحسن والقبح العقليين **يتوافق** مع ردود المعتزلة – المقرين بأصل الحسن والقبح العقليين – على البراهمة في هذا السياق حيث يقول القاضي عبد الجبار: " لأن ما تأتي به الرسل لا يكون إلا تفصيل ما تقرر جملته فى العقل، ... فيكونوا قد جاءوا بتقرير ما ركبه الله فى عقولنا وتفصيل ما قد تقرر منها"[(١)]. وهنا تظهر البراعة فى قضية أن العقل لا يعارض الشرع، بل إن هناك علاقة وثيقة بينهما يكتنفها الإجمال والتفصيل، والتقرير والتأكيد، فالعقل أكثر أحكامه إجمالية وقد جاء الشرع لتأكيدها أولاً وتفصيلها ثانياً.

الجانب الثالث: يجاب أيضًا: **بمنع** قولهم- في القسم الثاني من الشبهة-: إن ما أتى به الرسول إن كان لا يدرك بالعقول فهو غير مقبول، وذلك لأن منه "ما لا يدرك بالعقل ويحيله، ومنه ما يقف عن ادراكه، فلا يمتنع أن يرد به الشرع، وتارة تكون العقول مجوزة له، شاكة في وقوعه، فيتلقى من جهة الشرع العلم بوقوع الجائز، وتارة لا يدرك بالعقل جوازه ولا احالته فيرشد الشرع إلى جوازه أو إلى وقوعه، ويلزم من الوقوع الجواز"[(٢)].

أما رد الإمام الجويني على القسم الثاني من الشبهة فقد أورد نقده لهم – بعد تسليمه لهم جدلاً بالحسن والقبح العقليين- على صورة **مثال** يُشبه فيه حال المكلفين مع المرسلين بحال المريض مع الطبيب، فالمريض الذي يسعى إلى الطبيب له عقل أرشده على الجملة أنه مريض وعليه طلب

---

(١) المغني فى أبواب التوحيد والعدل، القاضي عبد الجبار، ج ١٥، ص ١١١، ١١٢، و: شرح الأصول الخمسة، ص٥١٥، وانظر: الفائق فى أصول الدين، ركن الدين الملاحمي، تحقيق ويلفرد مادلونج، ومارتن مكدرمت، المعهد الإيراني للفلسفة ومعهد الدراسات الإسلامية جامعة برلين الحرة، ٢٠٠٧م، ص٢٩٩، و: مناهج اليقين، ابن المطهر الحلي، ص٢٦٥، ٢٦٦.

(٢) شرح الإرشاد في أصول الإعتقاد، تقي الدين المقترح، تحقيق د. فتحي أحمد عبد الرازق، دار الضياء الكويت، ط١، ٢٠٢١م، ٢/ ١٥٨.

ما فيه شفاؤه، لكن هذا العقل لم يرشده بالتفصيل على الدواء الشافي لمرضه، إلى أن يأتى الطبيب فيعين له دواء مخصوصا مناسبا لمرضه.

فكذلك المكلفين يعلمون **على الجملة** أن هناك إلهـًا تجب طاعته، لكن أفعال العباد تنقسم إلى: طاعات ومعاصي، وليس فى مقدور العقل أن ينص بالتفصيل على الأفعال بأن هذا من قبيل الطاعات وذلك من قبيل المعاصي، كما أن من الأفعال ما لا يحكم فيه العقل، مثل وظائف العبادات وتعيين الحدود وتعلم ما ينفع وما يضر من الأفعال، فيأتى الرسول فيفصل أحكام الأفعال ويرشد إلى الطريق القويم(١).

يقول الجويني: " بما تنكرون على من يزعم أن ذلك يجري مجرى ما لو تقدم عليل إلى طبيب، يسائله عما يصلح له، فهو على الجملة يعلم أن المبتغى ما يشفيه، ولكن لا يتعين له ما فيه شفاؤه، والطبيب ينص له على ما يشفيه، وكذلك المبعوث إليهم لا يتعين لهم قبل البعثة ما يصلحهم مما يبتعث الرسول فيه، فإذا أرسل نص على المراشد وأوضح مناهج المقاصد..."(٢).

---

(١) راجع فكرة تشبيه النبي بالطبيب، وتشبيه العلاج الروحي والإجتماعي بالعلاج البدني في:
المغني فى أبواب التوحيد والعدل، القاضي عبد الجبار، ١٩/١٥-٢١، و: الإرشاد، الجوينى، ص٣٠٤، و: الإقتصاد في الاعتقاد، الغزالي، دار الكتب العلمية بيروت ط١، ١٩٨٣م، ص١١٣، ١١٤، و: نهاية الإقدام في علم الكلام، الشهرستاني، تحقيق ألفريد جيوم، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة، ص٣٩٦، و: الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة، ابن رشد، ص١٨٠-١٨٣، و: شرح الإرشاد، ابن ميمون، تحقيق أحمد حجازي السقا، مكتبة الأنجلو المصرية، ط١، ١٩٨٧م، ص٥٤٠، ٥٤١، و: غاية المرام، الآمدي، ص٣٢٥، و: مناهج اليقين، ابن المطهر الحلي، ص٢٦٥، ٢٦٦، و: موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول، ابن تيمية، تحقيق الشيخ محي الدين عبد الحميد، حامد الفقي، القاهرة، ١٩٥١م، ١ /١-١٤، و: شرح المقاصد، التفتازاني، ٢٧٠/٣.

(٢) الإرشاد، الجوينى، ص٣٠٤، وانظر: شرح الارشاد، ابن ميمون، ص٥٤٠، ٥٤١.

وبهذا يبطل ما استند إليه البراهمة والربوبيون في **الاكتفاء بالعقل والاستغناء به** عن الوحي والبعثة.

* والسؤال المطروح على التيار الربوبي هنا: هل العقل يحكم باستحالة إرسال الرسل، ونزول الوحي، ووقوع المعجزات؟

- الربوبي لا يمكنه الادعاء باستحالة إرسال الرسل، أو يدرجها في القضايا المستحيلة التي يمتنع وقوعها؛ إذ لا يلزم منها محذور عقلي كاجتماع النقيضين مثلا.

وإذا انتفى مورد الاستحالة فلا يبقى هنا إلا أن يقال: إن إرسال الرسل من القضايا الضرورية أو الممكنة، ولا يوجد احتمال آخر لأن الحصر هنا عقلي، وبما أن الربوبي لا يؤمن بأن إرسال الرسل من المسائل ضرورية الوقوع، فلا يبقى أمامه إلا أن يجعلها في حيز الإمكان؛ لأن كل قضية إن لم تكن ضرورية الامتناع، ولا ضرورية التحقق، **ستكون لامحالة في دائرة الإمكان**.

يقول الإمام الجويني: " الدليل على جواز إرسال الرسل وشرع الملل أن ذلك ليس من المستحيلات التي يمتنع وقوعها لأعيانها كاجتماع الضدين وانقلاب الأجناس ونحوها إذ ليس في أن يأمر الله تعالى عبدا بأن يشرع الأحكام ما يمتنع من جهة التحسين والتقبيح، فإذا تبين ذلك قلنا بعده مسلكان؛ أحدهما: أن ننفي أصل التقبيح والتحسين عقلا فلا يبقى بعده إلا القطع بالجواز، والثاني: أن نسلم التقبيح جدلا ونقول الإرسال ليس مما يقبح لعينه بخلاف الظلم والضرر المحض ونحوهما ولا يتلقى قبحه بأمر يتعلق بغيره فإنه لا يمتنع أن يقع في المعلوم كون الانبعاث لطفا يؤمن

عنده العقلاء ويلتزمون قضيات العقول ولولاه لجحدوا وعندوا فهذا قاطع في إثبات جواز النبوات"[١].

كما استدل العلماء على جواز إرسال الرسل بوقوعه بالفعل[٢]:

فإرسال الرسل قد تحقق وقوعه بالفعل في الوجود المعاين، وإذا كان قد وقع بالفعل وتحقق لدينا صدق من ادعى البعثة؛ **بالمعجزة لمن شاهدها، وبطريق التواتر** المفيد لليقين لمن لم يشاهد المعجزة، فلا وجه لمن يدعي بعد ذلك استحالة البعثة، ولا شك أن **الوقوع أقوى أدلة الإمكان والجواز**.

* كذلك فإن العقل لا يحكم باستحالة نزول الوحي:

فإن التصديق بمبدأ الوحى ليس مما يتعاظم على العقل إدراكه، فمادمنا قد اعترفنا بأن الله موجود، وأن وجوده حق لا ريب فيه، وأنه جل شأنه يصطفى من عباده من يبلغ مراده، ومن يتعهد الأمم الضالة ويخرجها من الظلمات إلى النور.

فالعقلاء يرون أن الوحى ممكن عقلًا، واقع فعلًا.

١- أما عن إمكان حصول الوحي فمداره على أمرين:

الأمر الأول: استعداد نفس النبي لتلقي الوحي.

---

(١) الإرشاد، الجويني، ص١٢٥، و: انظر: التمهيد، القاضي الباقلاني، ص١٣٥، و: أبكار الأفكار في أصول الدين، الآمدى، تحقيق د. أحمد المهدي، ٤/ ٢٩، و: حاشية الأمير ص١١٣، و: تحفة المريد، الباجوري، ٢/ ٤٥.

(٢) راجع: نهاية الأقدام في علم الكلام، الشهرستاني، ص٤١٧، و: الكشف عن مناهج الأدلة، ابن رشد، ٢٠٨-٢١٧، و: شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي ص٩٣، ٩٤، و: القول السديد في علم التوحيد، الشيخ محمود أبو دقيقة، تحقيق: د. عوض الله جاد حجازي، مكتبة الإيمان للنشر والتوزيع، بدون، ٢/ ٦٤، و: ابن رشد وفلسفته الدينية، د. محمود قاسم ص١٧٩، و: الآمدي وآراؤه الكلامية، د. حسن الشافعي ص٤٨٣، ٤٨٤.

أن البديهية تشهد بأن درجات العقول متفاوتة يعلو بعضها فوق بعض فما يدركه الأعلى يقصر عنه الأدنى، والنفوس ليست على درجة واحدة من الصفاء والنقاء، بل بعضها أنقى من بعض، وليس ذلك لتفاوت العقول في أصل التعليم والتهذيب فحسب، بل في أصل الفطرة التي جبل عليها الإنسان، فإن من النظريات ما يكون عند بعض الناس غامضة في حين أنها بديهية عند غيرهم.

فإذا كان هذا الصنف من الناس موجودون في كل عصر، وأن العقول هبة من الله تعالى تتفاوت في الإدراك، ولا مدخل للإنسان فيه بكسبه واختياره إلا بما يكتسبه من معارف بقدر قوته العقلية **فلا مانع عقلًا**، بل إنه من الممكن عقلا أن تكون هناك نفوس بشرية خصها الله بكمالات تهيؤها لعلم حقائق الأشياء وإدراكها ويكون لها من الصفاء والنقاء ما يمكنها من الاتصال بالملأ الأعلى، وتكون لديها من القوة ما تستطيع أن ترى الملك في صورته الحقيقية، أو تسمع صوته وتفهم ما يوحى به وتشهد من أمر الله ما تعجز عنها من هو دونها في القوة والتعقل والبرهان ثم تبلغ ما تلقته إلى الناس.

أما الأمر الثاني: وهو وجود الملك الذي يقوم بتبليغ الوحي لمن صفت نفسه واصطفاه الله للقيام بأعباء النبوة.

ووجود الملك ليس أمراً **مستحيلا** بل هو **ممكن عقلا**، فقد عرفنا من أنفسنا وأرشدنا إليه العلم قديمًا وحديثًا بأن من المواد ما بعضها ألطف من بعض، فبعض المواد ندرك آثارها ولا ندرك حقيقتها كالكهرباء والجاذبية، فهذه لا تدرك بالحس وقد أثبت العلم بأن ما يدرك بالحس لا يجاوز عشر ما ليس بمحسوس فإذا كان هذا في المادة لا يمنع العقل وجود ما ليس بمحسوس وهو واقع فعلا.

فما المانع من أن تكون لدى الأنبياء قدرة على الاتصال بهذا الملك ورؤيته بحسب استعداداتهم النفسية، لا سيما وقد **أثبت القرآن الكريم** وجود الملائكة التى هى أجسام روحانية،

فقال تعالى: ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[٢].

وقد أخبر الله ﷻ عن الطريقة التي ينزل بها الوحى، فقال تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾[٣].

ومادام قد توافر **الأمران** وهما: وجود النفس الطاهرة الزكية والتي بها من القوة أن ترى مالا يراه الناظرون، ووجود الملك وهو نوع من مخلوقات الله سبحانه يكون واسطة في تبليغ وحى الله إلى أنبيائه **فالوحي ممكن وليس بممتنع**[٤].

٢- أما كون الوحى واقع فعلاً:

فإن أقوى الأدلة على إمكان الوحي هو الوقوع الفعلي، ودليل تحقق ذلك بأمور ثلاثة:

أ - **المعجزة الخارقة** التى أظهرها الله على يد مدعى النبوة، وهذه المعجزة دليل لمن حضر زمن النبي وشهد وقوع المعجزة، فإن ذلك يفيد اليقين وبأنه صادق في دعواه الرسالة وأن الوحى ينزل عليه.

---

(١) سورة القدر، الآية: ٤.

(٢) سورة البقرة، من الآية: ٣٠.

(٣) سوارة النحل، الآية: ١٠٤.

(٤) انظر: رسالة التوحيد، الإمام محمد عبده، تحقيق: د.محمد عمارة، دار الشروق، ١٩٩٤م، ص١١٣، ١١٤، و: القول السديد في علم التوحيد، للشيخ محمود أبو دقيقة ٢/ ٦٣، ٦٤، و: دراسات في العقيدة الإسلامية والأخلاق للفرقة الأولى للكليات المستحدثة، لجنة من قسم العقيدة والفلسفة بجامعة الأزهر، المطابع الأميرية ٢٠١٤م، ص١٢٠.

ب- **الخبر المتواتر** بوقوع الوحى بالنسبة لمن هو غائب عن عصر النبي، فالتواتر مفيد لليقين حيث كان مستوفيًا للشرائط التي تحقق صحته، وخلا عن كل ما يضعف الثقة به[(١)]، والمتواترات أحد أقسام الضروريات[(٢)].

وبناء على هذا: امتنع كون الوحي مستحيلًا لذاته، وثبت كونه ممكنًا، فالوقوع أكبر الأدلة على الإمكان.

* كذلك فإن المعجزة ليست مستحيلة بل هي ممكنة عقلًا، واقعة فعلًا.

فقد أنكر المعجزات فريق من الفلاسفة الماديين، وقالوا: إن المعجزة من المستحيلات[(٣)].

---

(١) ذكر العلماء عدة شروط وقيود لدلالة التواتر على القطع، منها: أن يكون العدد الناقل للخبر كثيرا، وألا يكون من الممكن تواطؤهم على الكذب، وأن يكون مستند نقلهم للخبر الضرورة، إما الحس أو السماع أو المشاهدة، وليس النظر والاجتهاد، وأن تكون مشاهدة الشاهدين للمخبر به عن طريق مشاهدة حقيقية صحيحة، وليس عن طريق التأمل والنظر أو خطأ الحس، راجع: البحر المحيط في أصول الفقه، الزركشي ٤/ ٢٣١- ٢٣٣، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالكويت ط١، ١٩٨٨م.

فإذا توفرت في الخبر المنقول هذه الشروط؛ فإنه يكون صدقا لا محالة، ويكون في حكم إدراك الخبر بالحس أو المشاهدة، وقد نص العلماء على ذلك، وأكدوا على أن التشكيك في الأخبار التي نقلت بهذه الصفة يؤدي إلى السفسطة، وفساد المعارف الإنسانية، فإن كثيرًا من الأحداث والبلدان والأشخاص من الملوك والعلماء وغيرهم إنما يثبتها الناس بطريق التواتر، فلو بطل هذا الدليل لبطل عدد كبير من العلوم والمعارف التي لا يشك العقلاء في تحققها.

(٢) انظر: رسالة التوحيد، الإمام محمد عبده، ص١١٧، ١١٨، ١١٩، القول السديد في علم التوحيد، للشيخ محمود أبو دقيقة ٢/ ٦٤، دراسات في العقيدة الإسلامية والأخلاق للفرقة الأولى للكليات المستحدثة ص١٢١.

(٣) راجع: الرد على ابن الراوندي الملحد، أبو الحسين الخياط، تحقيق دكتور نيبرج، الدار العربية للكتاب، القاهرة، ط٢، ١٩٩٣م، ص٢، ٣، و: تهافت التهافت، ابن رشد، تحقيق د. سليمان دنيا، دار المعارف بمصر، =

واستندوا إلى أنه لو جاز وقوع الخارق للعادة لجاز انقلاب الجبل ذهبًا، وماء البحر دهنًا، وأواني البيت رجالًا... وهلم جرا، ولو جاز ذلك لأدى إلى الخبط والإخلال بالقواعد المتعلقة بالتشريع[١].

وهؤلاء يغفلون عن طبيعة المعجزة، ويخلطون بين الاستحالة العادية التي يمكن أن تتخلف، والاستحالة العقلية التي لا يمكن أن تتخلف بحال من الأحوال.

"فالمستحيلات قسمان:

١) مستحيلات عادية: تحيلها العادة، فقط أي: هي مستحيلة على مستوى العادة والواقع، لكن على مستوى العقل والتصور يمكن حصولها ووقوعها.

٢) مستحيلات عقلية يحيلها العقل على مستوى التصور الذهني، وتحيلها العادة والواقع من باب أولى"[٢].

والمعجزة مستحيل عادي لا عقلي؛ أي أن المعجزة وإن كانت مستحيلا عاديًا، أي مما تحيله العادة (خارقة للعادة)، إلا أنها ليست مستحيلا عقليًا، وإنما هي من الممكنات العقلية، والممكن العقلي هو ما يتصور العقل حدوثه ووقوعه، مثل تصور وجود نار بلا حرارة حارقة، أو تصور قمر منقسم إلى شقين، أو تصور انفلاق في البحر يشطر الماء شطرين عظيمين، كل هذه التصورات لا يجد العقل مانعا يمنعه من تصور وقوعها وقدرة العقل على تصورها هي نفسها برهان إمكانها

١٩٦٥م، القسم الثاني ص٧٩١، و: في الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيقه، د.إبراهيم مدكور، دار المعارف مصر، ط٣، ١٩٧٦م، ص ٨٩.

(١) انظر: شرح المواقف، الجرجاني ٨/ ٢٤٧.

(٢) المختار من مقومات الإسلام (العقيدة والأخلاق)، أ.د/ أحمد محمد الطيب، مكتبة الإيمان للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٢٠م، ص٨٤.

وقبولها للوقوع؛ فليس هناك أي مانع يمنع العقل من أن يتصور شخصا يلقى في اللهب ولا يحترق، أو قمرًا منشقا إلى نصفين، أو طريقا جافًا يقسم البحر إلى قسمين.

وصحيح أن هذه الأمور مستبعدة أو مستحيلة على مستوى ما ألفه الناس واعتادوه، لكن العقل لا يرفض إمكان حصولها بالفعل ولا يحيله.

وفي هذا الإطار جاءت خوارق العادات على يد الأنبياء معجزات وبراهين على صدق النبي في دعواه النبوة، وكانت كل معجزة من جنس ما برع فيه القوم الذين أرسل إليهم النبي، فكانت معجزة موسى عليه السلام مناسبة لما غلب على قومه وبرعوا فيه وهو السحر، فأبطل موسى بآياته سحرهم، ولم يستطيعوا أن يعارضوه في شيء مما جاءهم به، وهم الخبراء المتخصصون في هذا الفن، وكانت النتيجة أن سارع السحرة إلى التصديق بنبوة موسى عليه السلام والإيمان بما جاء به.

وكذلك لما بعث الله عيسى عليه السلام في مجتمع ظهرت فيه العلل، وبرع أهله في مهنة الطب، جاءهم بمعجزة من جنس ما برعوا فيه؛ فأحيا الموتى وأبرأ الأكمه والأبرص بإذن الله، وأثبت الله به الحجة على قومه.

ويمكن أن نقارن هذه الأمور بأمور يرفض العقل حدوثها، ويعجز عن مجرد رسم صورة ذهنية لها؛ مثلا لو حاول العقل أن يتصور حدوث مثلث له أربعة أضلاع، أو وجود شخص في مكانين في آن واحد، أو وجود جسم صغير أكبر من جسم كبير، أو اجتماع لون أبيض مع لون أسود بحيث يكون هذا الشيء أبيض أسود معا.

إن مثل هذه التصورات يرفضها العقل منذ أول وهلة، ويعجز عن مجرد تصورها؛ وهذه هي المستحيلات العقلية التي لا يمكن أن تقع أو تحدث على مسرح الوجود[1].

---

(١) انظر: المختار من مقومات الإسلام (العقيدة والأخلاق)، أ.د/ أحمد محمد الطيب، ص٨٣-٨٥.

وعليه: فالمعجزة " ليست من نوع المستحيل عقلا؛ فإن مخالفة السير الطبيعي المعروف في الإيجاد مما لم يقم دليل على استحالته بل ذلك مما يقع...

كما يشاهد في حال المريض يمتنع عن الأكل مدة لو لم يأكل فيها وهو صحيح لمات مع وجود العلة التي تزيد الضعف وتساعد على الإتلاف...

إن واضع الناموس هو موجد الكائنات، فليس من المحال عليه أن يضع نواميس خاصة بخوارق العادات، غاية ما في الأمر أننا لا نعرفها ولكنا نرى أثرها على يد من اختصه الله بفضل من عنده"[١].

وبناء على ما سبق: امتنع كون المعجزة مستحيلة، وثبت كونها جائزة عقلًا واقعة فعلًا، فالوقوع أقوى الأدلة على الجواز.

ونختم حديثنا: بالتأمل في **المصير الأخروي** للذين يؤمنون بالله ويكفرون برسله في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾[٢].

فقد وصفهم الله بقوله: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾[٣]، وقوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾[٤].

ولأنهم ﴿وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾[١]

---

(١) انظر: رسالة التوحيد، محمد عبده، ص٨١، ٨٢، و: انظر: تفسير المنار، محمد رشيد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م، ١/ ٢٦١.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٥٠.

(٣) سورة النساء، الآية: ١٥١.

(٤) سورة محمد، الآية: ٩.

يقول الإمام الزمخشري: "وما عرفوه حق معرفته في الرحمة على عباده، واللطف بهم حين أنكروا بعثة الرسل والوحي إليهم، وذلك من أعظم رحمته وأجل نعمته، ... أو ما عرفوه حق معرفته في سخطه على الكافرين وشدة بطشه بهم ولم يخافوه حين جسروا على تلك المقالة العظيمة في إنكار النبوة"[٢].

وعليه: فالدعوة إلي الإيمان بخالق لا صلة له بصلواتنا وحاجاتنا، ولا علاقة له بعالمنا، ولا أثر له في تصوراتنا وأحكامنا، هي دعوة استبدادية من جنس اختزال مطلق الوجود في ضرب واحد من الوجود...، فنحن بين أن نثبت خالقا عليما قديرا معنيا بما خلق، وهذا هو الأصل، وإما أن ننفي وجوده، أما أن نثبت وجوده ثم نقرر من تلقاء أنفسنا أن ننفي صلته بما أوجد، فهذا يحتاج إلي دليل أكبر من الدليل الذي يحتاجه الملحد ليثبت صحة إلحاده[٣].

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٩١.

(٢) انظر: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، للزمخشري، مطبعة البابي الحلبي بمصر، ٢/ ٣٤.

(٣) انظر: ثلاث رسائل في الإلحاد والعلم والإيمان، د.عبد الله بن سعيد الشهري، ص١٦٩.

الخاتمة

بعد هذا العرض يمكن القول إن هذه الدراسة انتهت إلى النتائج التالية:

* التدبير الإلهي من خواص الألوهية، ويمكن أن نقسمه إلى نوعين: تدبير كوني، وتدبير تشريعي.

- **فالتدبير الكوني: يتعلق بما** يظهر من أفعاله تعالى التي يتجلى فيها لطفه بالكون، واهتمامه الدائم بمخلوقاته وعنايته بهم.

- **وأما التدبير التشريعي:** فيتعلق **بتفرده** تعالى بالتشريع **ويدخل فيه** إنزال الوحي، وبعثة الرسل، وتكليف العباد، ووضع الأحكام والتشريعات والقوانين، وكذا توجيه الأفراد لتنظيم حياتهم لما فيه خيرهم وصلاحهم.

* إن التيار الربوبي هو: تيار لا ديني، **يؤمن** بوجود خالق لهذا الكون، مع إنكاره لتدبيره الكوني والتشريعي.

ومعنى إنكارهم للتدبير الكوني قولهم: إن الإله خلق الكون ووضع قوانينه الثابتة، ثم تركه يعمل بآليته الخاصة، بلا تدبير له فيه، وكل الحوادث في الكون هي أسباب طبيعية، تعمل وفق نظام ميكانيكي داخلي ليس للإله أي علاقة بها.

أما إنكارهم للتدبير التشريعي فمعناه: أنهم ينكرون الوحي، وبعثة الرسل، ويرون: أن البشر لا يمكن أن يعرفوا الله إلا عن طريق العقل، ومراقبة الطبيعة.

وقد استند التيار الربوبي في نفي التدبير الكوني والتدبير التشريعي إلى عدة شبهات تم الرد عليها في صلب البحث.

* أثبت البحث أن العلاقة بين **الخالقية والتدبير** الإلهي علاقة **تلازم**، ولا انفكاك بين الخلق والتدبير، فالخالق لكل شيء يستتبع تدبير شؤون خلقه، أما التيار الربوبي فقد خالف ذلك، **وسلم للإله بالخلق، وأنكر تدبيره**، كما **سلم للإله بالخلق، ورفض طاعته وعبادته**؛ وذلك للتحلل من كل

الالتزامات الدينية التي يمارسها المؤمنون من الصلاة والذكر والدعاء...، بدعوى أنها مجرد طقوس لا تنفع الإله شيئا، مع أنه لا انفكاك بين الربوبية والألوهية، فهما متلازمان، لا ينفصلان.

* **يختلف** التيار الربوبي عن باقي المذاهب الإلحادية في أنه يؤمن بوجود خالق لهذا الكون **ويتفق** معها في رفض الوحي والنبوات، وفي كون الأديان مجرد تفسيرات صادرة عن البشر بدلا من اعتبارها مصادر موثوقة.

* تصور التيار الربوبي الفاسد للإله، ولصفاته، وللعلاقة بين الخالق والمخلوق، هو السبب في إنكارهم للتدبير الإلهي، فأهم صفات الإله التي يحكم بها العقل، لا توجد في إله الربوبيين، وأهمّها القدرة والإرادة والعلم، مع أن منهجهم يدعي الاستناد للعقل وحده في معرفة الإله، فتصوروا الإله بصورة مزرية يعتريها الضعف والانحراف بدون دليل، فكان تصورهم للإله تصور ناقص، ساذج، متناقض، يترتب عليه الكثير من الإشكالات مثل أنه إله عاجز، غامض، غائب لا صلة له بالكون، وغير مكترث أو عابئ بخلقه.

* من الناحية التاريخية يصعب فصل الأسباب التي أدت إلى ظهور موقف التيار الربوبي من التدبير الإلهي لتشابكها وتداخلها، لكن تماشيًا مع عصر النهضة الذي ظهرت فيه الربوبية، الذي يتميز بظاهرة بعث الآراء اليونانية القديمة والتعصب لها، وذلك بعد أن كانت الكنيسة الغربية وصية على الفكر ومهيمنة على كل جوانب الحياة في العصر الوسيط، يمكن أن نعتبر أنها ظهرت تحت تأثير تصورين:

الأول: **تصور يثبت التدبير الإلهي**، وذلك يتمثل في تأثير الديانة المسيحية التي **تمردوا** عليها.

الثاني: **تصور ينفي التدبير الإلهي**، وذلك يتمثل في آراء **أرسطو**؛ الذي جرد إلهه من أي دور في تدبير العالم، **لأنه لا يعقل إلا ذاته**، وآراء **أبيقور** الذي استعظم أن تتدخل آلهته في شؤون العالم؛ لأنه وجد في ذلك قضاء على سعادتها وراحتها الكاملة، لما يلحقها من تعب ومشقة.

ويلحق بهم من يقولون بالآلية الميكانيكية ويفسرون الكون تفسيرا ماديا آليا صرفا، وما يصاحب ذلك من إنكار للعلة الغائية والتدبير الإلهي.

* مر التيار الربوبي في نشأته وانتشاره بثلاث مراحل تاريخية أساسية تحدث عنها البحث بالتفصيل، أما اليوم فإنهم أخذوا في التوسع والانتشار، مستعينين بما يروجونه من سهولة فكرتهم وبساطتها، واعتضادها بالعقل وتقديرها للعلم، وقد نظموا أنفسهم فأصبح لهم اتحاد عالمي للربوبيين في العاصمة الأمريكية واشنطن.

* التيار الربوبي لم يقدم إجابات عن الأسئلة الوجودية الكبرى في حياتنا، من قبيل: ما الغاية من وجود الإنسان في هذه الحياة؟ ما مصيره بعد الموت؟ لماذا خلقه الله في هذه الدنيا؟ ... مع أن هذه الأسئلة مهمة لكل عاقل.

وفي الختام ... أحمد الله – ﷻ – حمدًا يكافيء نعمه، ويوازي مزيده، على ما تفضل به علي من نعم، وأسأله – ﷻ – الإخلاص والقبول في العلم والعمل، وما كان في هذا البحث من صواب فمن الله، وما كان من خطأ أو سهو أو نسيان فمني ومن الشيطان، والله ورسوله ﷺ منه براء، وأسأل الله – تعالى – أن يعفو عني، ويتقبل مني، و يجعل هذا العمل علمًا نافعًا خالصًا متقبلًا.

قائمة المصادر والمراجع

١. أبكار الأفكار في أصول الدين، الآمدي، تحقيق: د. أحمد المهدي، مطبعة الكتب والوثائق القومية بالقاهرة، ط٣، ٢٠٠٧ م.

٢. الأربعين في أصول الدين، للرازي، تحقيق: أحمد حجازي السقا، ط الكليات الأزهرية، ط ١٩٨٦م.

٣. أرسطو عند العرب، عبدالرحمن بدوي، (مقالة «اللام» من كتاب ما بعد الطبيعة لأرسطو)، وكالة المطبوعات بالكويت، ط٢، ١٩٧٨م.

٤. الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، الجويني، تحقيق محمد يوسف موسى وعلي عبد المنعم، الخانجي مصر، ١٩٥٠م.

٥. الإسلام والاتجاهات العلمية المعاصرة، يحيى هاشم حسن فرغل، دار المعارف بالقاهرة، بدون.

٦. اعترافات القديس أغسطينوس، تعريب الخوري يوحنا الحلو، دار المشرق، ط٦، ٢٠٠٠م.

٧. أعلام النبوة، للماوردي، دار الهلال – بيروت ط١، ١٤٠٩هـ.

٨. آفاق العلم، ج. و. ن سلفان، ترجمة محمد بدران، عبد الحميد حمدي مرسي، المطبعة الأميرية بالقاهرة، ١٩٤٦م.

٩. الإقتصاد في الاعتقاد، الغزالي، دار الكتب العلمية، بيروت ط١، ١٩٨٣م.

١٠. الإقتصاد في الاعتقاد، الغزالي، ومعه حاشية السداد في الإرشاد إلى الاقتصاد في الاعتقاد، د.مصطفى عبد الجواد عمران، دار البصائر، القاهرة، ط١، ٢٠٠٩م.

١١. الإلحاد في الغرب، رمسيس عوض، دار سينا للنشر، القاهرة، ط١، ١٩٩٧م.

١٢. الإلحاد للمبتدئين: دليلك المختصر في الحوار بين الإيمان والإلحاد، هشام عزمي، دار الكاتب للنشر مصر، ط١، ٢٠١٤م.

١٣. الفلاسفة الإغريق من طاليس إلى أرسطو، و. ك. س. جثري، ترجمة: رأفت حليم سيف، مراجعة إمام عبد الفتاح إمام، بدون.

١٤. البحر المحيط في أصول الفقه، الزركشي، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالكويت ط١، ١٩٨٨م.

١٥. براهين النبوة والرد على اعتراضات المستشرقين والمنصرين، سامي عامري، تكوين للدراسات والأبحاث، ٢٠١٨م.

١٦. تاريخ الفكر الأوروبي الحديث ١٦٠١- ١٩٧٧م، رونالد سترومبرج، ترجمة أحمد الشيباني، القاهرة، دار القارئ العربي، ط٣، ١٩٩٤م.

١٧. تاريخ الفلسفة الحديثة، وليم كلي رايت، ترجمة: محمود سيد أحمد، دار التنوير، بيروت، ط١، ٢٠١٠م.

١٨. تاريخ الفلسفة الحديثة، يوسف كرم، دار المعارف بالقاهرة.

١٩. تاريخ الفلسفة الغربية، براترند رسل، ترجمة د. محمد فتحي الشنيطى الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٧م.

٢٠. تاريخ الفلسفة اليونانية، يوسف كرم، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٣٦م.

٢١. تاريخ الفلسفة، فريدريك كوبلستون، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام، المركز القومي للترجمة بالقاهرة.

٢٢. تجلي التدبير الإلهي في أعمال الحيوانات: مشاهدات عجيبة في حياة الحشرات، مقال منشور بمجلة الأزهر، بمجموع مقالات سنة ١٣٥٢هـ، طبعة مشيخة الأزهر الشريف بمصر، وسقيفة الصفا العلمية بماليزيا، ط١، ٢٠٢٣م.

٢٣. التحرير والتنوير، ابن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.

٢٤. تحقيق ما للإلحاد من مقولة، محمد المزوغي، منشورات الجمل، بيروت، ط١، ٢٠١٤م.

٢٥. تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، البيروني، حيدر أباد الدكن، الهند ١٩٥٨م.

٢٦. التفسير البسيط، للإمام الواحدي النيسابوري، تحقيق ونشر عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١، ١٤٣٠هـ.

٢٧. التفسير الكبير، للإمام الرازي، دار الفكر، لبنان، ط١، ١٩٨١م.

٢٨. تفسير المنار، محمد رشيد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.

٢٩. التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ط١، ١٩٧٣م.

٣٠. تكوين العقل الحديث، جون هرمان راندال، ترجمة جورج طعمه، دار الثقافة بيروت، ط٢، ١٩٦٥م.

٣١. التمهيد في الرد على الملحدة والمعطلة والرافضة والخوارج والمعتزلة، القاضي الباقلاني، تحقيق محمود الخضري ومحمد عبد الهادي أبو ريدة، القاهرة ١٩٤٧م.

٣٢. تهافت التهافت، ابن رشد، تحقيق د. سليمان دنيا، دار المعارف بمصر، ١٩٦٥م.

٣٣. التوحيد، الماتريدي، تحقيق فتح الله خليف، دار النشر بيروت، ١٩٧٠م.

٣٤. ثلاث رسائل في الإلحاد والعلم والإيمان، د.عبد الله بن سعيد الشهري، مركز نماء للبحوث والدراسات، ط٢٠١٤م.

٣٥. حاشية الباجوري المسماة تحقيق المقام على كفاية العوام في علم الكلام، للشيخ إبراهيم الباجوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٧م.

٣٦. الحرية في الفكر الفلسفي اليوناني، د. محمود السيد مراد، دار الوفاء بالإسكندرية، ط١، ١٩٩٩م.

٣٧. خريف الفكر اليوناني، عبدالرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصرية، ط٤، ١٩٧٠م.

٣٨. الخلاصة اللاهوتية، توما الأكويني، ترجمة: الخوري بولس عواد، دار صادر، بيروت، ١٩٩٨م.

٣٩. دراسات في العقيدة الإسلامية والأخلاق للفرقة الأولى للكليات المستحدثة، لجنة من قسم العقيدة والفلسفة بجامعة الأزهر، المطابع الأميرية ٢٠١٤م.

٤٠. دراسات في الفلسفة الحديثة، د.محمود حمدي زقزوق، دار الطباعة المحمدية، ط١، ١٩٨٥م.

٤١. دليل أكسفورد للفلسفة، تحرير تد هوندرتش، ترجمة نجيب الحصادي، المكتب الوطني للبحث والتطوير– ليبيا.

٤٢. الدين من منظور فلسفي: دراسة نصوص، روبرت س. سولمون، ترجمة حسون السراي، العارف للمطبوعات، ط١، بيروت، ٢٠٠٩م.

٤٣. الدين والعقل الحديث، د. ولتر ستيس، ترجمة: د. إمام عبد الفتاح إمام، مكتبة مدبولي، ط١، ١٩٩٨م.

٤٤. ربيع الفكر اليوناني، عبد الرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصرية.

٤٥. الرد على ابن الراوندي الملحد، أبو الحسين الخياط، تحقيق دكتور نيبرج، الدار العربية للكتاب، القاهرة، ط٢، ١٩٩٣م.

٤٦. رسالة التوحيد، الشيخ محمد عبده، ضمن الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده، تحقيق د.محمد عمارة، دار الشروق، ط١، ١٩٩٣ م.

٤٧. رسالة في اللاهوت والسياسة، باروخ سبينوزا، ترجمة: حسن حنفي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، بدون.

٤٨. شرح الإرشاد في أصول الإعتقاد، تقي الدين المقترح، تحقيق: د. فتحي أحمد عبد الرازق، دار الضياء الكويت، ط١، ٢٠٢١م.

٤٩. شرح الإرشاد، ابن ميمون، تحقيق أحمد حجازي السقا، مكتبة الأنجلو المصرية، ط١، ١٩٨٧م.

٥٠. شرح المقاصد في علم الكلام، التفتازاني، تحقيق عبد الرحمن عميرة، عالم الكتب، بيروت، ط٢، ١٩٩٨م.

٥١. شرح المواقف ومعه حاشيتا السيالكوتي والحلبي على شرح المواقف، الشريف الجرجاني، تحقيق محمود عمر الدمياطي، دار الكتب العلمية، ٢٠١٢م.

٥٢. الشيخ مصطفى صبري وموقفه من الفكر الوافد مفرح بن سليمان القوسي، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٩٩٧م.

٥٣. ظاهرة نقد الدين في الفكر الغربي الحديث، د. سلطان العميري، مركز تكوين للدراسات والأبحاث، ط٢، ٢٠١٨م.

٥٤. عالم دون أنبياء، حسين الخشن، منارات، ط١، ٢٠١٧م.

٥٥. عصر العقل: تحقيق في اللاهوت الحقيقي والأسطوري، توماس باين، ترجمة محمد موسى، بدون.

٥٦. العلم والدين في الفلسفة المعاصرة، إميل بوترو، ترجمة: أحمد فؤاد الأهواني، الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة: ١٩٧٣م.

٥٧. العلمانية النشأة والأثر فى الشرق والغرب، زكريا فايد، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ط١، ١٩٨٨م.

٥٨. العناية الإلهية ومشكلة الشر في الفكر الفلسفي، ثائر على الحلاق، دار النوادر، دمشق، ط١، ٢٠١٤م.

٥٩. العودة إلى الإيمان، هيثم طلعت، مركز براهين للأبحاث والدراسات، دار الكاتب، الإسماعيلية، مصر، ط١، ٢٠١٤م.

٦٠. غاية المرام في علم الكلام، الآمدي، تحقيق: د. حسن الشافعي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٣٩١هـ.

٦١. الفائق فى أصول الدين، ركن الدين الملاحمي، تحقيق ويلفر دمادلونج، ومارتن مكدرمت، المعهد الإيراني للفلسفة ومعهد الدراسات الإسلامية جامعة برلين الحرة، ٢٠٠٧م.

٦٢. الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ودار الكتب العلمية، ط٢، ١٩٨٠م.

٦٣. الفكر الأوربي الحديث، فرانكلين ل. باومر، ترجمة أحمد حمدي محمود، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٧م.

٦٤. الفكر المعاصر في ضوء العقيدة الإسلامية، د. يحيى هاشم حسن فرغل، دار الافاق العربية، ٢٠٠٧م.

٦٥. الفلسفة الإغريقية، د. محمد غلاب، ط القاهرة، ١٩٣٨ م.

٦٦. فلسفة العصور الوسطى، د. عبد الرحمن بدوي، مطبعة النهضة المصرية، ط٢، ١٩٦٩م.

٦٧. الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، عبد الوهاب المسيري، دار الفكر المعاصر، ١٩٩٨م.

٦٨. الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها، أميرة حلمي مطر، دار قباء بالقاهرة، ١٩٩٨م.

٦٩. في الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيقه، د. إبراهيم مدكور، دار المعارف مصر، ط. ٣، ١٩٧٦م.

٧٠. في عالم الفلسفة، أحمد فؤاد الأهواني، مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٣م.

٧١. القاموس المحيط، الفيروز آبادي، دار الحديث بالقاهرة، ط١، ٢٠٠٨م.

٧٢. قصة الفلسفة اليونانية، أحمد أمين، زكي نجيب محمود، دار الكتب المصرية، ط٢، ١٩٣٥م.

٧٣. قصة الفلسفة، ول ديورانت، ترجمة: فتح الله محمد المشعشع، منشورات مكتبة المعارف، بيروت، ط٦، بدون.

٧٤. القول السديد في علم التوحيد، الشيخ محمود أبو دقيقة، تحقيق: د. عوض الله جاد حجازي، مكتبة الإيمان للنشر والتوزيع، بدون.

٧٥. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، للزمخشري، مطبعة البابي الحلبي بمصر، ١٩٧٢م.

٧٦. الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة، ابن رشد، تحقيق د.محمود قاسم، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥٥م.

٧٧. لسان العرب، ابن منظور، دار صادر بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.

٧٨. لصوص الآخرة: تفنيد آراء الملحدين في الكون والحياة، هيثم طلعت، مركز تبصير لتقريب التراث والرد على الشبهات، مصر، ٢٠١٩م.

٧٩. الله في الفلسفة الحديثة، جميس كولينز، دار قباء للطباعة والنشر، ١٩٩٨م.

٨٠. الله في فلسفة القديس توما الأكويني، ميلاد ذكي غالي، منشأة المعارف بالإسكندرية، ط١، ١٩٩٨م.

٨١. مبادئ اللاهوت المسيحي، جون ماكواري، لندن، ١٩٦٦م.

٨٢. المختار من مقومات الإسلام (العقيدة والأخلاق)، أ. د/ أحمد محمد الطيب، مكتبة الإيمان للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٢٠م.

٨٣. مدارس النقد والتشكيك والرد عليها، حلمي القمص يعقوب، مكتبة الكتب القبطية الأرثوذكسية.

٨٤. مدخل إلى فلسفة الدين، محمد عثمان الخشت، دار قباء بالقاهرة، ٢٠٠١م.

٨٥. مدينة الله، للقديس أوغسطينوس، تعريب الخور أسقف يوحنا الحلو، سلسلة التراث الروحي، دار المشرق، بيروت، ط٣، ٢٠١٤م.

٨٦. المسامرة شرح المسايرة في العقائد المنجية في الآخرة، كمال الدين ابن أبي شريف، تحقيق: كمال الدين قاري، وعز الدين معميش، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ٢٠٠٤م.

٨٧. المسيحية عبر العصور: تاريخ الكنيسة المسيحية، إيريل كيرنز، ترجمة عاطف سامي برنابا.

٨٨. المعجم الفلسفي، معجم المصطلحات الفلسفية، مراد وهبة، دار قباء بالقاهرة، ١٩٩٨م.

٨٩. معجم اللغة العربية المعاصر، أحمد مختار عبد الحميد عمر، عالم الكتب، ط١، ٢٠٠٨م.

٩٠. مغامرات الفكر الأوروبي: قصة الأفكار الغربية، جاكلين روس ترجمة: أمل ديبو ط١، هيئة أبوظبي للثقافة والتراث ٢٠١١م.

٩١. المغني في أبواب التوحيد والعدل، القاضي عبدالجبار، تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف د. طه حسين، الدار المصرية للتأليف والنشر، ١٩٦٥م.

٩٢. المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، دار القلم، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ.

٩٣. الملل والنحل، الشهرستاني، تحقيق سيد كيلاني، دار مصعب بيروت، ط١، ١٩٨٦م.

٩٤. مناهج اليقين في أصول الدين، ابن المطهر الحلي، تحقيق محمد رضا الأنصاري القمي، مطبعة ياران بطهران، ط١، ١٤١٦هـ.

٩٥. منهج الأشاعرة في العقيدة بين الحقائق والأوهام، الشيخ محمد صالح بن أحمد الغرسي، بدون.

٩٦. المنهج الجديد في تعليم الفلسفة، محمد تقي مصباح اليزدي، ترجمة: محمد عبد المنعم الخاقاني، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ١٩٩٠م

٩٧. موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول، ابن تيمية، تحقيق الشيخ محي الدين عبد

الحميد، حامد الفقي، القاهرة، ١٩٥١م.

٩٨. موسوعة الفلسفة، د. عبد الرحمن بدوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٤م.

٩٩. الموسوعة الفلسفية المختصرة، جوناثان رى – وج.أو. أرمسون، ترجمة: فؤاد كامل وأخرون، المركز القومي للترجمة بالقاهرة، ط١، ٢٠١٣م.

١٠٠. موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، د. عبد الوهاب المسيري، دار الشروق، القاهرة، ط١، ١٩٩٩م.

١٠١. ميليشيا الإلحاد مدخل لفهم الإلحاد الجديد، عبدالله صالح العجيري، مركز تكوين للدراسات والأبحاث، ط٢، ٢٠١٤م.

١٠٢. نظرية النبوة في الإسلام، د. طه حبيش، دار الهدى ١٤٠١هـ.

١٠٣. نماذج من الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط، أوغسطين - أنسيلم- توما الأكويني، ترجمة وتقديم وتعليق د. حسن حنفي حسنين، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط٢، ١٩٧٨م.

١٠٤. نهاية الأقدام في علم الكلام، الشهرستاني، تحقيق ألفريد جيوم، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة.

١٠٥. هناك إله: كيف غير أشرس ملاحدة العالم أفكاره، أنتوني فلو، ترجمة جنات جمال، مركز براهين ط١، ٢٠١٧م.

١٠٦. وجود الله في فلسفة أوريجن وأوغسطين، ميلاد زكي غالي، رسالة ماجستير بكلية الآداب جامعة الإسكندرية، ١٩٨٥م.

١٠٧. وهم الإلحاد، د. عمرو شريف، هدية مجلة الأزهر لشهر المحرم ١٤٣٥هـ.

أهم المقالات الإلكترونية:

١٠٨. مقال إلكتروني بعنوان: النزعة الربوبية، ترجمة محمد سيد سلامة، مقالات مركز نماء للبحوث والدراسات، منشور بتاريخ ٢٠١٧/٥/١٧م.

- https: //nama-center.com/articles/details/٤٠٨٢٨ .

١٠٩. مقال إلكتروني بعنوان: المواقف الدينية من الإيمان بالله، منشور بموقع المحاورون، بتاريخ: ٢٤ مايو، ٢٠٢١ م.

- https: //almohaweron.co/religious-attitudes-toward-belief-in-god/.

١١٠. مقال إلكتروني بعنوان: "جمال الربوبية"، صامويل، منشور بمدونة الربوبي العربي، بتاريخ: ٢٠٠٩/٨/٢٦م.

- http: //arabicdeist.blogspot.com/٢٠٠٩/٠٨/blog-post_٢٦.html

١١١. مقال إلكتروني بعنوان: الربوبية تعارض الديانات السماوية، صامويل، مدونة الربوبي العربي: الرب أعطانا عقلا لا دينا، منشور بتاريخ ٢٧ يونيو ٢٠٠٩ م.

- http://arabicdeist.blogspot.com/.

فهرس موضوعات البحث

ملخص البحث باللغة العربية..... ١٣٣٨
ملخص البحث باللغة الإنجليزية..... ١٣٣٩
المقدمة ١٣٤١
الفصل الأول: التعريف بالتيار الربوبي ونشأته وأسسه الفكرية..... ١٣٤٤
المبحث الأول: التعريف بالتيار الربوبي لغة واصطلاحا. ١٣٤٤
أولاً: التعريف بالتيار في اللغة والاصطلاح:..... ١٣٤٤
ثانيًا: التعريف بالربوبية Deism في اللغة والاصطلاح: ١٣٤٤
المبحث الثاني: نشأة التيار الربوبي..... ١٣٥٢
المرحلة الأولى: ١٣٥٢
المرحلة الثانية:..... ١٣٥٦
المرحلة الثالثة:..... ١٣٥٨
المبحث الثالث: الأسس الفكرية للتيار الربوبي..... ١٣٦١
الفصل الثاني: التدبير الإلهي بين المثبتين والمنكرين..... ١٣٦٤
المبحث الأول: التدبير الإلهي في الفكر الإسلامي. ١٣٦٤
المبحث الثالث: التدبير الإلهي عند التيار الربوبي بين التأثر بالمسيحية وفلاسفة اليونان في عصر النهضة الأوربية. ١٣٧٢
أولاً: التصور المسيحي للتدبير الإلهي: ١٣٧٣
ثانيًا: تصور المنكرين للتدبير الإلهي من الفلاسفة اليونان..... ١٣٧٧
١- موقف أرسطو من التدبير الإلهي:..... ١٣٧٧
٢ - موقف أبيقور من التدبير الإلهي:..... ١٣٧٩

١ - تصور الاتجاه العقلي الفلسفي: ١٣٨١
الفصل الثالث: نقد تصور التيار الربوبي للتدبير الإلهي. ١٣٨٦
المبحث الأول: إنكار التيار الربوبي للتدبير الكوني والرد عليهم. ١٣٨٨
المبحث الثاني: إنكار التيار الربوبي للتدبير التشريعي والرد عليهم..... ١٣٩٥
١- أما عن إمكان حصول الوحي فمداره على أمرين: ١٤٠٥
٢- أما كون الوحى واقع فعلاً:..... ١٤٠٧
الخاتمة..... ١٤١٣
قائمة المصادر والمراجع ١٤١٦
أهم المقالات الإلكترونية: ١٤٢٥
فهرس موضوعات البحث ١٤٢٦

تم بحمد الله تعالى